ANCORA IMPARO



العصور

مجلد ٣ العدد ١٣ اعرف نفسك بنفسك : فيثاغورس سبتمبر ١٩٢٨

العصور

فى سنتها الثانية

***

نقدم لقراء « العصور » العدد الاول من سنتها الثانية فى هـذا الثوب الجديد الذى خلعه عليها تشجيع الرأى العـام المتنور فى الاقطار العربية جمعاء . ولئن كان للعصور من غاية ترمى اليها ، أو كان لها من غرض تسعى فى سبيل الوصول اليه ، فان ذلك ينحصر فى شيء واحد هو تنوير الفكرة فى الشرق والعمل على تكوين أساليب جديدة تنتحي فى التفكير ، وخلق اتجاه حديث يتوجه اليه أحرار الفكر من الناطقين بالضاد . اما شعارها ، فكما كان وكما سيكون دائما :

« حرر فكرك من كل التقاليد والاساطير الموروثة ، حتى لا تجد صعوبة ما فى رفض رأى من الآراء ، أو مذهب من المذاهب ، اطمأنت اليه نفسك ، وسكن اليه عقلك ، اذا انكشف لك من الحقائق ما يناقضه . »

حياتنا العقلية

١ تمهيد

كانت لمصر حضارة من أروع الحضارات ، وكان لها نظامات سياسية وقضائية ، وكان بها سلطات دينية قامت على أساس من التقاليد العريقة التى لم يؤثر فيها مؤثر منذ أبعد أزمان التاريخ حتى قيام النصرانية فى جوف الامبراطورية الرومانية . فاخذت التقاليد الدينية القديمة تؤثر فى نظامات النصرانية تأثيراً ظهر على أشده فى فكرة التثليث التى بثها فى تضاعيف الدين النصرانى، قديس مصرى فى قديسى المسيحية .

حدث كل هذا فى زمان لم تعرف فيه المدنية الا فى بعض بقاع من كرة الارض كبلاد اشور والكلدان وبعض بقاع من الهند والصين . انارت هذه الاقباس فى ظلام الانسانية المدلهم ، وفى عصور ما عرف فيها غير المصريين أن للعقلية الانسانية حياة تحياها وتظهر بارزه فى نظامات ومبادىء اجتماعية وصور من الآداب والفنون . ما عرف هذا فى تلك الازمان من غير المصريين الا بضعة شعوب اين مدنيتها من مدنية المصريين ، واين نظاماتها من نظاماتهم ، واين فنونها من فنونهم .

ولقد يعزو بعض الباحثين قيام المدنيات الى اسباب شتى . فمنهم من يعزوها الى طيب المناخ وكثرة المياه او المعادن . ومنهم من يعزوها الى غرائز اختص بها النوع البشرى وصفات جادت بها الطبيعة على بعض الشعوب دون بعض . وهذا يمكن ان يكون صحيحاً الى حد بعيد فى قيام الصورة المادية فى المدنيات . اما الصور الادبية والفنية فلابد من ان يكون لها اسباب اخرى غريزية وان كان للطبيعة تأثير غير مباشر فيها . وعندى ان السبب الاقوى فى شبوب الصور الذهنية فى المدنيات راجع الى ايجاد أساليب جديدة يعكف عليها الفكر الانسانى .

وما اردنا بهذه المقدمة الوجيزة الا ان نستطرد منها الى اثبات ان تغير اساليب الفكر هو السبب الاوحد الذى تفوق من طريقه المصريون فى العصور القديمة على غيرهم من الشعوب ، وان عجزهم عن تغيير هذه الاساليب كان السبب فى تقاعدهم عن الاحاق بغيرهم من الشعوب التى استطاعت ان تخلق بتغيير الاساليب القديمة صورا مدنية جديدة فاقت الصور القديمة فى كثير من وجوه الارتقاء .

كذلك نريد ان نثبت ان عجز الشعوب عن تغيير اساليب الفكر ليس براجع الى نضوب قواهم العقلية او صفاتهم المدنية . فانى اعتقد تمام الاعتقاد بان هذه الصفات انما تكمن فى بعض الاحيان وتستكين ، فلا تنشط ولا تعمل تحت تأثير ظروف طارئة غير ثابتة . كغزو اجنبى او سوء حالة الحكم واحتكام الجماهير فى الطبقات المنتقاة من مجموع الامة ، واستبداد ينزع اليه الملوك والامراء او خلاف طائفى او نزاع على الملك او غير ذلك من الاسباب التى ليس لها من علاقة مباشرة بالصفات الطبيعية التى تختص بها الافراد ، بل لها الاثر الاكبر فى المحيط الذى يحيط بالعقول والافهام فيفعمه بكثير من فاسد النزعات تكمن معها الصفات التى تقوم عليها المدنية ، والتى لا تظهر الا فى جو لا يتهيأ الا لتسود ارقى المبادىء الادبية التى تواضع عليها النوع الانسانى

٢ — فى التاريخ القديم

مصر القديمة اكبر مثال يضرب لنثبت به حقيقة هذه النظرية . فان التقلبات المدنية التى انتابت مصر فى مختلف عصور تاريخها القديمة لشاهدة على أن الجو الذى يحيط بالافراد والنظامات كان له اكبر الأثر فى تكييف الصورة المدنية التى تقوم فى عصر من العصور .

ليس من المعقول مطلقاً أن تهبط مصر المتحضرة الراقية ذات النظامات الأهلية والمدنية ، وذات المعابد والهيا كل العامرة ، وذات النظام الكهنوتى الكبير الاثر ، من ذروة المجد إلى حضيض الذلة والانكسار أمام غزو الهكسوس ، وهم اعراب من أهل البادية ما عرفوا مدنية ولا ذاقوا للنظام طعماً ، ويكون انكسارهم وفناء صورهم المدنية التى عاشوا فى ظلالها

راجع إلى نضوب قوة الابتكار فيهم ، بين يوم وليلة !!! إن هذا القول لبعيد جهد البعد من المعقول ، فضلا عن أن العلوم الحديثة فى النشوء لا تؤيده، بل تؤيد ما يذهب إلى عكسه على خط مستقيم .

إنما يكون فى مثل هذا القول كثير من الحق والصواب إذا نحن رجعنا إلى نظريات كمون الصفات الفطرية فى الشعوب إذا هى تأثرت بجو مشبع بمفسدات المدنية . وأية مفسدة من مفاسد الحياة الانسانية اقسى تأثيراً على الشعوب من غاز أجنبى جاهل لا يعرف إلا القوة ولا يلجأ إلا للقوة فى شعب ماعرف للقوة فى نظاماته من أثر ، ولا عرف لغير النظام فى حكومته من مبدإ ؟ والدليل القاطع على صحة هذه النظرية ان مصر لم تلبث ان تطرد الهكسوس من بلادها حتى ازهرت بمدنية المدنية . وما إزهار هذه المدنية فى الواقع بشىء يستعصى تعليله، إذا عرفنا أنه عائد مباشرة إلى نشاط الصفات المدنية مرة أخرى بعد أن ذهب تأثير الغزو الاجنبى وتطهر الجو الذى لا يمكن أن تنشط فى غيره .

كذلك إذا نظرت فى مجمل تاريخ مصر منذ زمان « مينا » إلى زمان الغزو الرومانى . فانك تجد أن تاريخ هذا الشعب كان عبارة عن دورات من العزة والانكسار ، والنصر والانحدار ، متعاقبة متتالية ، على قصر فترات الزمان ، والشعب المصرى هو هو ، لم يتغير فيه عنصر ولا نقصت فيه صفة . فهل يمكن أن يكون ذلك راجع إلى فقدان الصفات الطبيعية التى اختص بها الشعب المصرى كما يوهمنا البعض فى هذا الزمان قضاءاً لمآرب خاصة ، أو يأساً من طول مامنينا به من مفاسد الغزو الاجنبى ؟ كلا . أن ذلك راجع لدى الواقع إلى كمون الصفات المدنية والمؤهلات العقلية تبعاً لفساد الجو الذى يحيط بها . على أننا لا ننسى مع هذا أن طول الزمان الذى تكمن فيه الصفات المدنية يجعل عودتها إلى النشاط أعسر ، ورجوعها إلى العمل أوعر ، وانهاضها محتاجاً إلى كثير اوقليل من الجهد على مقتضى الحالات .

وما السبب فى هذا ! السبب فيه أن كمون الصفات المدنية ازماناً طويلة عامل من أكبر العوامل فى تحليل النظامات التى تقوم عليها المدنية . لهذا يكون

الجهد مضاعفاً عند قيام مدنية أخرى لشعب فقد مدنيته لانه يكون محتاجاً إلى اعادة بناء النظامات المدنية أولا ، ثم صبغها من بعد بالصبغة التى تستمد مباشرة من صفاته الطبيعية .

وليس يقتصر استشهادنا على هذه النظرية بامثال نقتطعها من تاريخ مصر وحده . فلديك مملكة مقدونيا وهى من أصغر ممالك الارض عدة وعدداً. ففى عصر الاسكندر المقدونى خرجت من ظلمات التاريخ الى وضح الحياة بعد سنين معدودات من حكم فيلبس وابنه الاسكندر، فدوخت العالم وفتحت كل بلاد المدنية فى ذلك العهد . وما لبث ان مات الاسكندر وتجزأت من بعده امبراطوريته العظمى بين كبار قواده حتى خبت تلك الجذوة التى اشعت فى مقدونيا وما عتمت ان كمنت قواها مرة أخرى ، لما انتشر فى جو المدنية من المفسدات ما تعذر معه على تلك الصفات أن تظهر وتنشط فى صور الحياة العامة

واذا شئنا أن نعدد لك من الامثال ما يؤيد هذه النظرية لذهبنا بك فى سلسلة طويلة من الوقائع التاريخية التى تؤيدها فى التاريخ القديم

٣ — فى التاريخ الحديث

ولا تصدق هذه النظرية على التاريخ القديم وحده ، ولا هى وقف على الامم القديمة وحدها . بل هى نظرية يمكن أن ننتزع من وقائع التاريخ الحديث ما يؤيدها ويزيدها قوة وثباتاً

هل تستطيع مثلا أن تعلل السبب فى ان أمة اليابان قد نشطت فجاءة كبرق يتألق فى ظلمات الليل البهيم ، نتبز فى خمسة عقود من الزمان لا تتجاوز النصف قرن، كل امم الارض على وجه التقريب رقياً ومدنية ، وتناظرها قوة وسلطانا ، وكانت من قبل احدى الامم الصفراء التى لا يعمل لها فى عالم المدنية حساب ولا يقام لها وزن؟

طافت احدى المدرعات الامريكية بقيادة الاميرال « بيرى » وقد سددت مدافعها الضخمة إلى إحدى المدن اليابانية القائمة على شاطىء المحيط الهادى فانزعت بانفجارها أهل اليابان المستكينة الذليلة ، ومن ثم اخذت الأمة اليابانية

تضرب فى مجالى الرقى العملى وتبنى على انقاض مدنيتها القديمة مدنية حديثة تكاد تزرى بمدنية باريس، عروس مدائن الدنيا المتمدينة ! فهل يمكن أن يكون منظر هذه الدارعة وحده هو الباعث على أن تهب اليابان هبتها التى كان من نتائجها أن تضرب الدب الروسى ضربتها القاضية ويخطب وده الآن الاسد البريطانى؟ كلا، لا بد من أن يكون الجو الذى افسد جو المدنية اليابانية خلال الازمان الأولى قد تطهر من مفسداته التى كانت تعوق صفات أهلها عن أن تنبعث فى سبيل النهوض . وقل بعد ذلك ماشئت . قل أنه تطهر باللقاح او قل إنه تطهر بالعظة البالغة أو بتحرك شهوة السيادة فى قلوب الزعماء. قل ماشئت . ولكن اعتقد بجانب هذا أن صفات الشعب الكامنة قد تحركت فغيرت من أساليب الفكر وجددت من شباب الفن والادب، فكانت المدنية اليابانية قائمة على أساس الصفات والمؤهلات التى تركزت فى طبيعة الشعب اليابانى منذ اقوم عصوره حتى اواخر القرن التاسع عشر .

ثم انظر فى ايطاليا وقد تقاسمتها السلطة البابوية من جهة ودولة النمسا من جهة اخرى . وارجع الى الميراث الذى خرجت به القبائل الايطالية فى القرون الوسطى ، وعد قليلا الى ذكرى المفاسد التى ابدتها الكنيسة والاستبداد الذى حلل اخلاق ذلك الشعب اللاتينى من طريق استبداد الامراء . اذكر كل هذا وسائل نفسك هل يمكن ان يكون الشعب الايطالى قد فقد كل صفاته الطبيعية فى تلك الازمان الذى مضى خاضعاً فيها لعسف الامراء من جهة ، واستبداد اهل الدين من جهة أخرى ؟ واذا سلمت بهذه الفكرة فكيف تعلل نهوض هذا الشعب بعد ان فاز كافور فى ميدان السياسة، وجاريبالدى فى ميدان الحرب ، باستقلاله وحريته ؟ لا جرم اننا لا نكون ابعد عن الهدى منا اذا سلمنا بهذه النظرية . اما الحق فان صفات الشعب وقدرته على ابتكار الاساليب الجديدة قد كمنت عندما حوطها من المفاسد ماجعل كمونها لازماً . فلما تطهر الجو انبعثت الصفات الكامنة من مرقدها ومضت تسير بالشعب الايطالى فى مدارج الرقى دفعة واحدة، كأن لم يكن استبداد حلل اخلاق الشعب، وكأن لم تكن مذهبية شنيعة استعانت بها الكنيسة على اخضاع ايطاليا لوحى الآخرة

وكذلك اذا أردنا أن نضرب لك الامثال على صحة هذه النظرية منتزعة من التاريخ الحديث . فاننا نذهب بك فى سلسلة طويلة لا حاجة لنا بها بعد الذى أدلينا اليك به من البحث .

٤— أسباب ونتائج

وليس السبب فى كمون الصفات محصوراً فى الغزو الاجنبى أو استبداد الامراء . فان هذه الاسباب قد تكون ذاتية أى آتية من ناحية الشعب نفسه، كما يمكن أن تكون خارجية مفروضة عليه الزاما بحكم خارج عن إرادته. ففى عصور الانقلاب والثورة يظهر الزعماء الذين يقودون الجماهير ، وينزوى ذوو العقول الفذة الذين هم فى الواقع قمة الهرم الذى يكون مجموع الأمة . وفى هذا سبب من أكبر الاسباب التى تكمن معها الصفات المدنية الصحيحة اذ ينتفى بذلك أن تكون حرية حقة فى عصر تسود فيه الجماهير . وكذلك الحال فى العصور التى تنتشر فيها فكرات جديدة يأخذ الناس وهجها الكاذب ويبهرهم زخرفها الخلاب . فان هذه الظاهرة كثيراً ما تكررت فى عصور المدنية اذ هى تسير بقدم ثابتة، فزلزلت من تحتها قائم الدعائم وفضت من حول المدنية قوى التشييد لتنصرف حينا الى الفساد الذى تبثه فكرة خاطئة أو مذهب غير قويم .

هذه الامثال وغيرها كثير نضربها لندلك بها على أن فساد وجود المدنية قد يرجع الى أسباب تستمد من نفسية الشعوب ، كما تعود الى أسباب قاهرة مفروضة عليها بحكم ارادة غير ارادتها . ولا جرم أن العجز عن تغيير اساليب الفكر يقتضى فساد المدنية . فهذا العجز لدى الواقع دليل على أنه فساداً انتاب المدنية ، لا على أن الامم التى عجزت عن تغيير أساليبها لتساير المتمدنين، قد فقدت كل صفاتها المدنية وأضاعت كل قدرة على أن تساير خطا الارتقاء .

٥ — المدنية صورة للمؤهلات القومية.

تنحصر المؤهلات القومية فى مجموعها في القدرة على تغيير أساليب الفكر والمعتقد على حسب ما تتطلب الظروف وما تقتضى الحاجات

فالمؤهلات القومية هى لدى الواقع الاصل فى الصورة التى تتصور بها المدنية ، والقالب الذى تصب فيه حضارة امة من الامم . ومن هنا كانت تلك الخلافات الشديدة التى تباين فيها أمة أخرى فى التكوين المدنى

ولا جرم أننا لا نستطيع ان نقيس المدنيات بمقياس يتخذ قاعدة للحكم على المدنيات . ذلك لان هذا القياس لا بد من أن يكون مبدأ تعترف كل الامم بانه المثل الاعلى للمدنية . ولا شك فى أن الباحثين لم يتفقوا على مثل أعلا يتخذ للمدنية قياساً يقاس عليه . لهذا وجب علينا أن نرجع الى الصور الظاهرة فى المدنية أجلى ظهور ونحكم من ناحيتها فى صور المدنية ، فنقضى لهذه الصورة أو لتلك على مقتضى ما تظهر الامم من قدرة على مسايرة مقتضى الحالات التى تجد فى أفق الاجتماع الانسانى . ولا شبهة عندى فى أن المقياس الحقيق ينحصر فى قدرة الامم على تغيير أساليبها التفكيرية والاعتقادية ،لان ذلك فى الواقع دليل على مرونتها وتقبلها لمختلف الاساليب التى يمكن أن تفوز منها باسلوب يمهدلها سبيل التفوق فى ناحية بعينها من نواحى المدنية .

٦ — النشاط والكمون فى طبائع الامم

غير أن النشاط والكمون فى الامم تختلف نسبته . فهنالك أمم سريعة الانبعاث الى النشاط ، ولكنها بجانب هذا تكون سريعة الانكماش والكمون . وأمم أخرى بطيئة النشاط تدرجية السير فى بناء المدنية ، ولكنها بجانب هذا تكون بطيئة العودة الى الكمون . والمصريون ولا شبهة مثال الطابع الاول والانجلوسكسون مثال الطابع الثانى . ولا يفوتنا هنا أن نقرر أن الشعب الانجليزى من أبطأ الشعوب التى ظهرت فوق الارض نشاطاً الى المدنية ،ولكنه سيكون من ابطئها رجوعا الى حالة الكمون.

ولا شبهة عندى مطلقا فى أن هذه الظاهرات تدل على مقدار ثبات الصورة المدنية وانحلالها على مقتضى ما يكون للشعب الذى يصورها من سرعة

النشاط أو الاستكانة والكمون . فلديك شعوب عاشت عصوراً طوالاوهى
عاكنمة على صورة بعينهامن صور المدنية ما أثر فيها مؤثر خارجى أو ذاتى
الا وتغلبت صفة الثبات القائمة فيها والمستمدة من صفات الشعب الذى
صورها على كل عوامل الانحلال التى انبعثت فى عصر من العصور . ولديك
شعوب أخرى توالت عليهادورات النشاط والثبات ، كأنها على مسرح من
مسارح الالعاب الذى تقاس فيه أعمار الناس بالساعات لا بالسنين والاجيال

وهذه الظاهرات تدل دلالة واضحة على ان الصفات الاصلية فى الشعوب
لن تموت ولن تنحل ولكنهاتكمن حينا لتظهر مرةاخرى لابسة صورة مدنية
جديدة تنصب فى القالب الذى تسمح به ظروف الحالات الاجتماعية والمدنية

٧ — مصر فى الميزان.

ان المقدمات التى قدمنا بها فى هذا المقال يمكن تطبيقها على حالة مصر
الماضية والحاضرة . ولست اريد بما ضربت من الامثال التاريخية ان اقع فى
خطأ كثر ما وقع فيه الكاتبون. لا اريد ان استدل بالماضى على الحاضر ، بل
اريد ان استدل بالحاضر على الماضى . ذلك لانى اعتقد اعتقاداً جازما بأن
الحاضر هو مفتاح الماضى وان عكس ذلك غير صحيح . انما سقت ما سقت
من الاستشهادات التاريخية على اعتبار انها وقائع ما قصدت بها مطلقا ان
اطبق الماضى على الحاضر بل استدلالات اردت من طريقها ان اثبت من ناحية
ماصح فى التاريخ بمطريه ومن ناحية اخرى صحة نظرية اعتنقها وادافع عنها.

لقد ظلت مصر ازماناً طويلة مصدودة عن ان تهيىء لصفاتها الكامنة جواً
تستطيع ان تنشط فيه وتكون من طريق نشاطها الذهنى مدنية تصبها فى
القالب الذى تصل بها اليه مؤهلاتها .

اما اذا رجعت إلى المسألة السياسية المصرية فانك تقع فيها على ما يؤيد
هذه النظرية بما لا سبيل الى ادحاضه باية طريق من طرق التدليل . فان
صيحتنا للحرية والاستقلال على مايعتورهما من النقص وعلى ما يحف بهما من
الضعف فى بعض الاحيان لدليل ناطق وبرهان حى على ان صفاتنا الكامنة
قد أخذت. تنشط من عقال القرون وان قدرتنا على تقبل الاساليب الجديدة

اخذت تفكك تلك القيود التى صدتها عن الانبعاث فى سبيل التقدم القرون الطوال . وعندى ان هذه الظاهرات فى مجموعها راجعة الى ان الجو الذى يمكن ان تنشط فيه صفات الشعب المدنية قد تطهر بعض الشيء مما تراكم فيه من غبار الاستبداد والعسف وزوال النظامات العتيقة التى من شأنها أن تعقل الفكر وتصد موجة النشوء، عن ان تبعث الصفات الكامنة لتنشط وتؤتى ثمراتها الطيبة .

لهذا لا ندعو الى تغيير أساليب الفكر . فان هذه الدعوة فى ذاتها خطأ محضاً . ذلك لاننا اخذنا بالفعل نغير من اساليبنا الفكرية على الرغم مما يصدنا عنها من العقبات . بل ندعو الى توجيه الفكر فى طريق يجعل اختياره للاسلوب الحديث الذى يعكف عليه قائما على الحرية التامة وعلى قدر ما تقبل مؤهلات الامة الكامنة فى العصر الحاضر .

يكفينا الآن ان تعمل على تحرير الفكر ليكون اختياره للاسلوب الذى يرضاه غير مقيد بشيء مما تقيد به خلال العصور الاولى .

فالى الحرية ندعو والى حرية الفكر على الاخص نعمل قانعين بان العمل فى هذه السبيل هى خير ما توجه فيه الامة نهضتها الحديثة .

اسماعيل مظهر

لا تقطفيها

لا تقطفيها فرب زهر يحنو عليها و يرتجيها !!
لا بد من عاشق رواها بدمعه واستهام فيها . . .

***

أخاف ثأر الزهور منا إن جئت يوما لتقطفيها
أخاف أن يعتدى غبى يفرق الأخت عن أخيها

***

تأمليها تسبى عقولا للحسن تصبو تأمليها
الحسن فيك يزيد عنها لا تقطفيها !! لا تقطفيها !!

حسن كامل الصيرفى

الفيلسوف الفارسى

عمر الخيام

— ١ —

نشرنا فى غير هذا المكان من العصور النبذة الاولى من ترجمة رباعيات عمر الخيام التى نشرها حديثاً السيد الزهاوى شاعر العراق المعروف . وقد حركت فينا هذه الترجمة الجديدة شهوة البحث في تاريخ رباعيات عمر الخيام، وهي شهوة طالما راجعتها النفس حيناً بعد حين . ففى سنة ١٩٢٦ وكنت لا ازال بريف مصر بعيداً عن جلبة المدنية القاهرة، كتبت فى أبى العلاء المعرى مقالا نشر اذ ذاك واختتمته بهذه الكلمات

« ولعله تتاح لنا فرصة أخرى نوفى فيها هذا البحث حقه ، ونقارن بين فكرة أبى العلاء الفلسفية وبين فكرة عمر الخيام ، فان ذلك يظهرنا على شيء من طبيعة الفكر الانسانى وكيف تتنقل الفكرات من جيل الى جيل متدرجة فى أشكال من التغيير لا نهاية لتنوع صورها».

ومضيت من ثم أدرس أبا العلاء ، مكباً فى ذات الوقت على رباعيات الخيام استعمق فى درسها ومقابلة التراجم التى ظهرت فى اللغة العربية . فلما وصلت الى يدى ترجمة السيد الزهاوى عادت الى ذاكرتى كل ما استوعبت من فكرة فى الخيام وأخذت أتردد فى متابعة الدرس حينا وتركه حيناً آخر، حتى صحت عزيمتى على أن أبدأ به .

غير انى لا أكتم القارىء انى كلما استعمقت فى دراسة الخيام بان لى أن المقابلة بينه وبين المعرى صعبة المنال — ان لم تكن متعذرة تماما . والسبب الاكبر فى هذا أنك لا تستطيع أن تقف على حقيقة الرباعيات، كما هي بين يدينا اليوم ، وان تستخلص منها ما كان للخيام، وما كان منتحلا . فالتراجم تختلف اختلافا كبيراً . واختلافها يرجع الى مصادرها الأصلية . وكذلك عددها يختلف اختلافا شديداً ، سواء فى الاصول الفارسية أو فى التراجم.

التى ظهرت فى مختلف لغات العالم . ثم انك بعد هذا واقع فى إشكال أنكى من هذا وأشد فعلا فى عواطفك وأسلوب درسك، إذ تعلم أنه يستحيل عليك أن تعرف الاصل الذى نقل عنه كل المترجين . ناهيك بان أقدم أصل للرباعيات عثر عليه فى الفارسية يرجع الى عهد يبعد عن عصر الخيام عدة قرون من الزمان .

ولو أردت أن أذهب بك فى سلسلة طويلة من هذه الاعتبارات لفعلت. غير انى لا أجد لهذا من مسوغ فى بحث انتقادى أدبى فلسفى سوف لا اتورط فيه الى تفضيل أو تعزيز أحد فى موضوعه بل سأكون من هذه الناحية محايداً تماما، أبدى الفكرات والملاحظات ثم لا انتصر الى احداها.

والحق انى حتى الساعة لم ارتسم طريقاً أسلكه فى درس الخيام ورباعياته، ولعلنى عما قليل مهتد الى الطريق الذى يخيل لى انه امثل طريق واقوم سبيل . ويكفى اليوم فى هذا المقال ان اخاص فى النهاية بشرح ما حملنى على أن اضع القارىء فى موضع الشك من رباعيات الخيام قبل ان ابدأ بدرسه. والسبب فى هذا ان الخيام لم يعرف فى العصور الحديثة لدى قراء العربية الا منذ عهد قريب . على انى لا اذكر ايضاً ان رباعياته قد عرفت لدى العرب فى عصورهم الاول، اعتماداً على ما وصل الينا من كتب الادب القديم . وجل ما عرف عنه ، وذلك على قدر ما وصل اليه علمى ، تراجم واخباريات مقتضبة لا تغنى فى دراسة الخيام شيئاً . لهذا أبدأ اليوم بسرد ما وقعت عليه من تاريخ الرباعيات فى أوروبا وأمريكا توطئة للكلام فيه وبحثه على النهج الذى حددته من قبل.

* * *

وقع فى سنة ١٨٥٩ ، وهي نفس السنة التى طبع فيها كتاب « أصل الانواع » المعروف ، انه نشر ادوارد فتزجرالد — Edward Fitz Gerald كتيباً وسمه بانه ترجمة أشعار لكاتب فارسى ، لم يكن قد عرف عنه من شيء فى عالم الادب الغربى على الاقل . ولقد طبع هذا الكتيب الصغير على قدر ما يتسع لامثاله من الاهمال وعدم الاكتراث ، فكان بضعة وريقات

صغيرة لا تتجاوز عدد صفحاتها الاربع والثلاثين صفحة، لا يجد فيها قارىء الانجليزية الا خمسة وسبعين مقطعاً شعريا فى صورة رباعيات نسبت الى « عمر الخيام الشاعر الفلكى الفارسى » . ولقد خرج هذا الكتاب من آلة الطباعة ميتاً مكفنا ، لا ينتظر من شىء إلا الدفن والنسيان الابدى . وأخذ ناشره ينتقص من ثمنه المرة بعد الاخرى ، حتى بلغ ثمنه « بنساً » انجليزيا واحداً، ومع كل هذا فقد عافه القراء وانصرف عنه الادباء.

بعد هذا التاريخ بعدة سنوات — ١٨٦٧ — تشجع مترجم السفارة الفرنسوية فى طهران، مسيو نيقولا ، وقد سمع من رجال البلاط الفارسى ما لعمر الخيام عندهم وفى الادب الفارسى من منزلة، فنشر الرباعيات بعد أن ترجمها ترجمة حرفية مع المتن الاصلى منقولا على مطبعة حجر فى عاصمة فارس. وفى السنة التالية لهذه الحادثة أعاد « فتزجرالد » طبع رباعياته بعد أن نقحها وزاد اليها فكان عدد رباعيات هذه الطبعة مائة رباعية ورباعية . ولقد ذكر « جون باين » أن هذه الطبعة قد اهملت أيضاً ولم تستلفت نظاراً أحداً من الناس .غير ان مد الفكر قد بدأ يغير اتجاهه من بعد ذلك .وبدأ « فتزجرالد» يتبوأ المكانة التى تبوأها فى عالم الادب الحديث . ولم تأت سنة ١٨٧١ حتى طبعت لثالث مرة وظلت تباع ثلاث سنوات بيعاً مطرداً بسعر لا يتصوره احد اذ بيعت النسخة بثمانية شلنات انجليزية الا قليلا . وبدأ عشاق الفيلسوف الفارسى يبحثون عن نسخ الطبعة الاولى التى كان يلقيها مؤلفها فى سلال المهملات كلما عثر بواحدة منها ، حتى بلغ ثمن النسخة الواحدة ستون ليرة انجليزية ، ولم تكن نسخ الطبعة الثانية لتقل عن الاولى قيمة . هذا بعد ان بيعت ببضع بنسات فى اسواق لندن وزهد فيها القارئون .

وظهرت فى امريكا طبعات لترجمة « فتزجرالد » فكسيت بمحلول التبر وجلدت بأثمن ماجادت به الصناعة من فاخر الجلود المراكشية . بل لقد حلت فى القلوب محلا لم يفخر به سوى الانجيل فى قلوب النصارى والقرآن فى قلوب المسلمين .

ولا تلبث على هذا غير قليل حتى تجد أن « النادى العمرى » قد تكون

فى لندن ، واصبح عمر الخيام قبلة فئة من كبار ادباء الانجليز،ما كانت الدهشة لتبلغ باحد ممن عهدهم مبلغها من فتزجرالد ،بل ومن عمر الخيام نفسه، لو انهما رأياهم وهم فى حالهم هذا .

وتوالت بعد ذلك الترجمات. ولقد ذكرنا من قبل خبر نيقولا ، مترجم السفارة الفرنسوية فى طهران . وهذا بلغت ترجمته ٤٦٤ رباعية .ونقلت هذه الترجمة الى الانجليزية منذ عهد قريب . وظهرت بعد ذلك ترجمة المانية،هى على مايقول نقاد الانجليز من اوثق الترجمات التى ترجمتها الرباعيات، نقلها الأديب بودنستيد » — Bodenstedt — وطبعت عدة طبعات متوالية . اما فى اللغة الانجليزية فاحسن الترجمات التى اعترف لها أدباء انجلترا هي ترجمة «ونفيلد» — Whinfield — فى ٥٠٨ رباعية ومعها المتن الفارسى ، وترجمة جون باين John payne فى ٨٤٥ رباعية من غير المتن الاصلى ، وترجمة هيرون الن — Allen — Heron —وتحتوى طبعة هذا المترجم على صورة صفحة من اقدم نسخة عثر عليها من الرباعيات. وتحتوى على ١٥٨ رباعية. ويوجد في الانجليزية ترجمات غيرهذه نذكر منها ترجمة جونسون باشا، وترجمة شرو بسول.

***

اما اذا رجعنا الى المخطوطات التى حفظت من رباعيات الخيام فى لغتها الاصلية، وجدنا أنها بغير استثناء بعيدة عن عهده . اما اقدمها فالمخطوطة التى اعتمد عليها الأديب «هيرون الن » وهى محفوظة فى مكتبة « بودلى » با كسفورد . وتحتوى على ١٥٨ رباعية فقط، وقد كتبت فى شيراز سنة ١٤٦٠ ميلادية ، ومعنى هذا أنها نسخت بعد موت المؤلف بما لا يقل عن ٣٥٠ سنة. اما المخطوطة المحفوظة فى المكتبة الاهلية بباريس فتحتوى على ٣٤٩ رباعية ومؤرخة فى سنة ١٥٢٧ ميلادية،أى بعد موت المؤلف باربعة مائة سنة تماماً. وفى المتحف البريطانى مخطوطة أخرى عدد رباعياتها ٥٤٠ ويرجع تاريخها الى سنة ١٦٢٧ ميلادية،أى بعد موت الخيام بخمسمائة سنة .

ويلاحظ هنا أن عدد الرباعيات يزداد بنسبة بعد زمانها عن زمان المؤلف بصفة مطردة، حتى انك تجد أن النسخ التى طبعت على الحجر فى العهد القريب قد بلغت رباعياتها الالف أو تزيد . ومن هنا نتحقق ان هذه الرباعيات لا يمكن أن تكون جميعها من قلم الخيام وحده . ولا يجب أن نقف ازاء هذا الامر عند حد هذا الاستنتاج وحده . فقد زعم بعض الكاتبين أن عمر الخيام. الفيلسوف الشاعر الفلكى الكبير ، لم يكن ذا منزلة عند اهله وبين عشيرته. اما اهتمامهم برباعياته الخالدة فدليل ناطق على فساد هذا الزعم الغريب . لان التقليد اذا أخذ على أنه اخاص شيء يعبر به الناس عن حبهم لشخص اولشيء ما ، فان لدى الخيام من علائم هذا الحب ومظاهر هذا التبجيل قدر لا يفخر بمثله غيره من الشعراء والادباء . فما بالك وهذا القدر يزداد على مر السنين وكر الأعوام .

***

فضلا عن هذه المخطوطات الكثيرة ونسخ الطبعات الحجرية ، التى تنسب جماعها الى عمر الخيام ، فانك تقع على عدد من الرباعيات لا تقل عن المائة عداً ، تدعى عند الادباء الرباعيات المنتحلة ، وهذه يعزوها البعض لعمر ، كما يعزوها غيرهم إلى مؤلفين أخر . وهذه المائة من الرباعيات المنتحلة موجودة فى الاصل الذى اعتمد عليه نيقولا الفرنسوى . اما اقدم المخطوطات، وهى المحفوظة بمكتبة بودلى با كسفورد فلا تحوى من هذه الرباعيات الا أربعة عشر رباعية. أما أثبت أدباء الانجليز قدماً ومنهم المحترم دكتور « وير » — Wier — فيقول بان هذه الرباعيات الأربعة عشرة ظاهرة الانتحال . أما القول بأن عمر الخيام هو منتحلها كما يقول بعض الباحثين ، فما لا يقبله العقل . ذلك لان الطريقة الرباعية فى الشعر لم يتبكرها الا الشاعر المعروف « ابو سعيد بن ابى الخير » الذى عاش فى عصر يتقدم عصر الخيام بسبعين سنة فقط . وجل ما فى مستطاعنا ان نستثنيه من هذا الحكم ، فتلك الرباعيات التى تنسب مرة الى الخيام واخرى الى ذلك

الرجل الذى يستطيع الخيام ان يقتفى خطاه وان يلبس لبوسه بسهولة . اذ كان ، كما كان هذا ، فيلسوفاً ورياضياً معا . وما نعنى به الا الفيلسوف الاعظم « بن سينا »

والحقيقة ان هنالك باعثا قويا يحمل متأخرو الشعراء على ان ينسبوا اشعارهم التى ترمى الى التجديف والهرطقة الى من سبقهم من عظماء الرجال . لان الآراء التى كان من الممكن ان يبشر بها فى ظلال حكم مثل حكم السلاجقة وكان فيه شيء من التسامح ، كانت ولا شك تجعل رأس الشاعر معلقة فى ميزان القدر بين الارض والفضاء الاوسع فى حكم من عقبهم فى الاسر المالكة . غير ان هذا العهد لم يدركه الخيام . ومن حسن الحظ ان هذا العهد ادرك الخيام وهو ثاو بين الجنادل فى ثرى نيسابور وكأنه يناجى الطبيعة بقوله :

آه لو كنت بعد الف والف فى حؤول تقفو خطا يوم حتفى
فى ترابى اطل كالنبت حياً فاحيى الربوع والاطلالا

***

ويزيد بعض النقاد على هذا ان الرباعيات التى يقرب زمانها من زماننا والتى طبعت على الحجر ، لا تقتصر منافعها على انها بعيدة عن عهد المؤلف بعداً كبيراً . بل ان اختلافها من حيث الاسلوب والمعانى عما ورد فى الرباعيات الاقدم منها عهداً ، قد جعلها ادخل فى باب الشك . وعلى الاخص اذا تذكرنا قول المحترم مستر « وير » — اذ قال « بان اللغة الفارسية غير قابلة للتحوير بل هي من اللغات الثابتة الاصول . وهي من حيث ثباتها تشابه شرائع الميديين او الفارسيين القدماء التى ضرب بها المثل فى الجمود » ولا جرم ان نقاد الادب الفارسى ومنهم العلامة « سايس » — Sayce لعلى اعتقاد ثابت فى ان الاديب الفارسى الذى يعيش اليوم وفى القرن العشرين يشبه من حيث الاسلوب والمعنى اديب فارس الذى عاش منذ ٨٠٠ سنة مضين .

اما اذا تركنا البحث اللغوى ورجعنا الى المقارنات القياسية فانا نجد أن مخطوطة جامعة « بودلى » باكسفورد لاتحتوى على سطر واحد ـ وعددها ١٥٨ رباعية — يمكن أن يفضح لك سر عقيدة كاتبها الدينية . وأنت اذا قرأتها لم تستطع ان تحكم فى صاحبها حكما قاطعاً ، أهو مسلم أم يهودى أم زرادشتى أم نصرانى . اما الرباعيات التى تتأخر من حيث الزمان وتنحدر مقاربة لزماننا هذا،فليست من هذه الروح . فان كثيراً منها ، لا يمكن ان يكون قد خرج الا من عقلية رجال مسهم الدين الاسلامى فى الصميم .

***

ويذكرنى عمر الخيام فى موقفه هذا من تلاميذه ومريديه ، بالفيلسوف أبيقور اليونانى . فكلاهما ظلم وكلاهما ضاعت آثاره ليتسع لمن بعده مجال الدس عليه والافتراء .

جاء فى كتاب تاريخ الفلسفة للعلامة « اردمان » مايلى

« ويعتقد أبيقور ان الخير الحقيقى فى تحصيل اللذة ، وان كل الفضائل التى يمتدحها المشاؤون ، ارسطو واتباعه ، ليست بذات قيمة الا من جهة ماتؤدى اليه من الملاذ . وقد يعرف اللذة تعريفاً سلبياً بانها التحرر من الالم ، وانها قد تأتى من طريق التأمل العقلى ، وان اللذة فى الواقع حيازة أكبر قسط ممكن من المتعة التى يسعى الانسان الى تحصيلها ولو تحمل فى سبيلها ألماً . ولان اللذة التى يسعى اليها لاتأتى الا بالتبصر وإعمال الفكر ، دعاها اللذة النفسية أو لذة الروح . غير أن الباحث اذا تدبر جميع ماينطوى تحت عنوان تلك اللذة النفسيه ، فانه يشك فى أن الابيقوريين ينزلون من الناموس الادبى منزلة أمثل من منزلة السيرينيين مع تفضيلهم اللذة الحسية . فان من معتقدات ابيقور أن الفضيلة انما يتبعها العاقل لا لذاتها ولكن كوسيلة للذة ، وانه اذا خيل للعاقل ان الاستغراق فى اللذة البهيمية والافراط فيها قد ينجيه من الخوف ، ويبعده عن متاعب الحياة ، فله أن يكب عليها ، وان هذا الاحساس ذاته هو الذى يجعل العاقل يعيش فى نظام مدنى ، أو يخضع لسلطة ملكية ، وهو الذى يحمله على احترام القوانين » .

وقال العلامة « اردمان » بعد ذلك — وهو ما نقصد اليه من استطرادنا هذا :

« ان حياة أبيقور العملية كانت أرقى من نظرياته فى استباحة الملذات . على ان أبيقور فضلا عن استغراقه فى المادية ، كان حسن السيرة عفيفاً فاضلا ، اتبع من مذهبه الاخلاق فكرة تحصيل اللذة من طريق الألم فكان مثالا من الفضيلة يناقض الامثال التى وضعها اتباعه ، حتى أصبحت الفلسفة الابيقورية قاصرة فى مدلولها على ما امتدح اتباعه من مذهبه الاخلاقى ، حيث وجدوا فى نظرياته ما استباحوا به لانفسهم ما استباحوا » .

ولقد أراد الخيام أن يضع رباعياته ، على ما نتخيل من شأنه ، تأملا فى حقيقة الوجود والحياة الانسانية ، بعيدة عن منازع الاديان ومفارقاتها البعيدة ، فلم يرد الذين نسجوا على منواله ودسوا عليه الا ان يكون فى مظهر المسلم ، لابساً ثوباً لم يرد أن يلبسه ، ومصبوغا بصبغة لم يردها لنفسه .

وكذلك كان أبيقور . فأين لذة الروح التى عكف عليها ، من لذة الجسم التى أكب عليها أتباعه وأصحاب مذهبه الفلسفى من بعده ؟

***

بعد الذى أدلينا به من القول فى رباعيات عمر الخيام ، وبعد المقارنات التى استطعنا أن نقف عليها وسرد ما عثرنا عليه منها ، لا نظن أن أحداً من النقاد قد يتورط فى لومنا اذا نحن قضينا بان عمر الخيام الشاعر ، لايمكن أن يعرف الا من مخطوطة مكتبة « بودلى » باكسفورد . اما كل الرباعيات التى ترجمها نيقولا وبودنستيد ووينفيلد وباين وغيرهم ممن عنوا بترجمة الخيام عن مخطوطات يرجع تاريخها الى ما بعد تاريخ مخطوطة مكتبة « بودلى » أو من نسخ مطبوعة على الحجر ، فيجب علينا أن نطرحها جانباً . ذلك لأنه من أعق الاشياء للبحث العلمى الصحيح أن تنقب فى الرباعيات ثم تقسمها الى صحيحة ومشكوك فيها ومنتحلة بالفعل ، كما يفعل الباحثون فى الاحاديث . فليس لدينا من ضابط معين أو دستور محكم للبحث يعيننا على ان نفرق بين ما كتب الخيام وبين مالم يكتب ، أو بين ما يمكن أن يكون له ، وبين ما يمكن

ان يكون قد د ں عليه غيره من الشعراء . وموقفنا فى هـذا كموقفنا ازاء القصائد العديدة التى تنسب زوراً الى الجاهليين، او كموقف الانجليز ازاء شكسبير ، او موقف العالم الأدبي كله ازاء الياذة هوميروس . ومها يكن من امر هذه الابحاث ، فعندى أنه من الواجب أن نكتفى بمخطوطه مكتبة «بودلى» وان نتخذها اساساً لبحث رباعيات الخيام . هذا حد الامكان . فانها اقرب المخطوطات عهدا لعمر الخيام . والفاصل الزمانى ٣٥٠ سنة «فقط». يجب أن نقنع بهذا مرغمين ، ولا بد مما ليس منه بد .

***

ولقد اعتمد الاديب « فتزجرالد » فى ترجمته على مخطوطة مكتبة «بودلى» من جامعة اكسفورد . لهذا وجب علينا ان نتخذه اساساً لدرس الرباعيات. ولكن من سوء الحظ تجد كثيرين من ادباء الانجليز وفيهم نخبة من أهل الشهرة وبعد الصيت ، يقولون بان الرباعيات التى ترجمها فتزجرالد ،وأن أدت بنا الاسانيد التى تقع بين ايدينا على انها اقرب ما ينسب الى عمر الخيام، فانك إذا قرأتها فى الانجليزية فانك لاتقرأ الخيام ، ولكنك تقرأ فتزجرالد . فمثلا يقول المحترم مستر «وير» انك فى الاكثر من نصف الرباعيات لاتعرف اذا قابلتها بالاصل ايها يقابل الرباعيات الأصلية » .

ولا جرم اننا لانستطيع بعد هذه الافاضة ان نذهب بالقارىء فى بحث جديد نتطرق اليه ، وقد يطوح بنا فى عدد كبير من صفحات العصور . لهذا نتركه فى هذه الحيرة لنعاود واياه البحث فيما بعد . وموعدنا الاعداد التالية

ا . م

رباعيات الخيام

مترجمة بقلم فيلسوف العراق

السيد جميل صدقي الزهاوي

— ١ —

ننشر فيما يلي رباعيات الخيام كما ترجمها فيلسوف العراق المعروف السيد جميل صدقي الزهاوي . توطئة لدراسة مستفيضة نتناول فيها مقارنة التراجم التي ظهرت حتى اليوم لرباعيات الشاعر الفارسي المشهور ، ثم نقابلها بالترجمة الانجليزية لفتز جرالد ، وهي الترجمة التي اعترف بأنها أدق التراجم الانجليزية. كل هذا بعد أن نشرح باستفاضة ما دار حول الرباعيات من مناقشات الادباء والفلاسفة الذين وقفنا على كلام لهم في هذا الموضوع

وقد قسم السيد الزهاوي ترجمته الى ثمانية أقسام سننشرها تباعاً في العصور ونبدأ اليوم بترجمة ما قال في الخمر، بعد أن ننبه على أن السيد الزهاوي لم يكتف بأن يضع بين أيدينا الترجمة العربية وحدها ، بل زاد عليها الاصلي الفارسي مع ترجمتها نثراً ، وهي طريقة لم يتبعها غيره حتى الآن .

***

١ — في الخمر

— ١ —

اغنم العشب فهو اخضر غض وترشف كأس الحميا عليه
قبلما يبدو العشب أخضر غضاً من تراب يوماً تصير اليه

— ٢ —

اسقني كأساً فهي تعدل عندي الف دين وألف ملك وطيد
ليس من مرة سواها تساوي الف حلو في كل هذا الوجود

— ٣ —

انما الراح وهى فى الكأس تبدى لمعاناً روح بجسم تجلى
وكأن الكأس التي قد حوتها ماءة بالنار المضيئة حبلى

— ٤ —

لا اعاف السلاف مادمت حياً قد اصاب ارتياحهم شاربوها
انني قد حسوتها قبل هذا وكما قد حسوتها احسوها

— ٥ —

اشرب الراح مدمناً ثم انى لا ابالى كفراً ولا إيماناً
قلت للدنيا ماصداقك قالت هو ان تستمر بى جذلاناً

— ٦ —

عفت زهدى وكل تلك الوساوس ولزمت الحانات بعد المجالس
وعسى ان اعيد فيهن عمراً كنت قبلا اضعته فى المدارس

— ٧ —

بالحميا احيا فياطيب يوم فيه عقلى من الحميا يضيع
ويقول الساقى الاهاك اخرى وانا للعياء لا استطيع

— ٨ —

حبذا خمرة تحرر نفسى من هموم تعضها كالكبول
حيهل يا صاحبي على الراح كيما نطلق الروح من قيود العقول

— ٩ —

ان نضحت الطود الاشم بخمر رقص الطود ناشياً جذلانا
انني لا اتوب ما عشت عنها فهي روح يهذب الانسانا

— ١٠ —

ما على هذه البسيطة خير من عقار يلذها الشاربونا
عجب لى من بائعيها فهم افضل مما باعوه ما يشترونا

— ١١ —

لا يتم الضوء الا بخمر للذى للشعار فى الحان يرعى

اسقنيها فان ثوب عفافى   شق حتى لايقبل الشق رقعاً

— ١٢ —

امنحونى من السلافة قوتاً   واجعلوا وجهي يشبه الياقوتا
واذا مت فاغسلونى بخمر   وانحتوا لى من كرمة تابوتاً

— ١٣ —

انما العيش ان تعاقر خمراً   ما لهذا الشباب فيك ثبات
هو ذا الورد والرفاق سكارى   فاغتنم شربها فذاك الحياة

— ١٤ —

انا فى ميعة الشباب ساحسو   خمرة عرفها من الطيبات
لا تعيبوا تلك المرارة فيها   إنها مرة كمثل حياتى

— ١٥ —

اننى ان صحوت يزداد همي   واذا ماسكرت ينقص عقلى
انما بين الصحو والسكر حال   انا فى غمتى بها متسلى

— ١٦ —

قد اتانى من حانة القوم سوط   فى بياض الصباح يغرى النفوسا
قائلا : قم نشتف كأس الحميا   قبلما يصنعون منا كؤوساً

— ١٧ —

انا ان لم احس السلافة يوماً   كان للهم فى فؤادى دبيب
قيل لى تب فقلت ان كان ربى   لم يشأ توبتى فكيف اتوب

— ١٨ —

ارتشفها ولا تؤمل وراء   الموت نشراً منع الطبيعة دونه
انت يا غمر است بالتبر حتى   يخرجوه بعد مايدفنونه

— ١٩ —

قيل لى الحور فى الجنان حسان   قلت خير منها ابنة العنقود

فخذ النقد ذا وذر كل وعد يحسن الطبل صوته من بعيد

— ٢٠ —

ارتشفها فانت من بعد حين فى حفير تحت الثرى تتغيب
لست تدرى من أين جئت الى الـ دنيا ومنها يوما الى أين تذهب

— ٢١ —

حاسب النفس فالكياسه أن تعـ رف ماذا جلبت ماذا صرفتا
قلت عنها أعفاذ سوف أردى سوف تردى شربتها أم عففتا

— ٢٢ —

انت ان لم تحس الحميا فلا تطـ ـعن بمن يحسوها وقد كان حرا
تدعي الفخر فى مجانبة الخمر وتأتى ماكان منها أضرا

— ٢٣ —

اتخذ جنة لنفسك فى الدنيـ ـا من الخمر واغتبط بجناها
أنت لا تدرى تلك ان هى حقت أتراها هناك أم لا تراها

— ٢٤ —

أشربنها فانت لست من الوسـ ـواس تنجو الا اذا ما شربتا
أنت بعد الرحيل مالك عود فاذا ما ذهبت يوماً ذهبتا

— ٢٥ —

اسقنيها فانني لست أدري أي يوم احل فيه حفيرى
ربما جاء الموت بين شهيق لى على حين غفلة وزفير

— ٢٦ —

جاء بالامس من هديت بكأس وهو يلقى على نظرة حب
قال لى خذها من يدي واحسونها قلت لا أحسوها فقال لقلبى

— ٢٧ —

متع النفس بابنة الكرمة الغبياء وأنعم بعرفها والجمال
أقرب البنت بالحرام ولا تقرب من الأم ساعة بالحلال

— ٢٨ —

ارتشف خمرة ولا تتفكر في حياة مصيرها لنفاد
احر بالعمر — خلفه الموت — ان يصرف في حال السكر أو في الرقاد

— ٢٩ —

يا رفاق ان ضمكم يوم خمر فاذكروني في غيبتي واشربوها
واذا ما أدرتم الكأس فيه وأتت منها نوبتي فاقلبوها

— ٣٠ —

علم الله قبل خلقي انى أشرب الخمر ثم لا أتخلى
فاذا ما منعت نفسي منها كان في علم الله من قبل جهلا

— ٣١ —

انا بالراح وحدها متأسى لا أمد اليمين الا لكأس
ان اكن أعبد الحميا فما أعبد يوماً للجهل مثلك نفسي

— ٣٢ —

إنما الناس إن أبوا على الصلح فاني على الوغى ذو جساره
انها خمرة عتاق فمن لم يجترعها فرأسه والحجاره

— ٣٣ —

أيها المفتي نحن أتقى وأصحى منك لا تقسو مثلما أنت تقسو
أنت تحسو دم الانام وانا لدم الكرم وهو في الجام نحسو

— ٣٤ —

انظر العشب النضر واشرب عليه خمرة تنسى شاربيها الشجونا

ليت شعري اذا بدا العشب يوماً من ثرانا فمن هم الناظرونا

— ٣٥ —

كنت يوماً سألت شيخاً عن الما ضين والشيخ نضو سكر عميد
قال لى أشرب كأساً فان كثيراً مثلنا قد مضوا ولما يعودوا

— ٣٦ —

ارتشفها ولا يغرك وعد بجنان خضر وحور وولد
فذر الوعد واحسب النقد غنما ان نقداً أحب من ألف وعد

— ٣٧ —

لا تفكر فى جنة وجحيم وأطردن الاوهام عنك بكأس
من ترى زج فى الجحيم ومن ذا جاء يوماً من جنة الفردوس

— ٣٨ —

اصطحب إبريقاً وكأساً وعمم روضة زهرها يسر النفوسا
رب قد لدن لهيفاء رود صار ابريقاً ثم صار كؤوسا

— ٣٩ —

أطو كشحاً عن العلوم جميعاً أى نفع من العلوم أتانا
ثم أوسع دم الاباريق سفكا قبل أن يسفك الزمان دمانا

— ٤٠ —

خمرة ان واصلتها ارتاح فكري واذا ما هجرتها ضاق صدرى
إننى أخشى أن يعدوا زماناً لم أذق فيه طعمها من عمرى

— ٤١ —

طالع البدر فأشربن على اضوائه خمرة تسر الجنانا
فكثيراً ما سوف يالطع هذا البدر من بعدنا وليس يرانا

— ٤٢ —

أيها الساقى ليس بالوقت مهل فاغتنم فرصة المسرة واطرب
اى شيء من القيامة تخشى هات كأساً فالليل قد كاد يذهب

— ٤٣ —

مدت الشمس الحبل للآكام ثم صبت سلافها فى الجام
ولقد نادي بالصبوح المنادي ملقياً للدوى في الايام

— ٤٤ —

قيل شهر الصيام امسى قريباً وستنأى عن ابنة العقود
قلت اشتفها بشعبان حتى لا ارى صاحياً ليوم العيد

— ٤٥ —

خذ من العيش في السرور نصيباً وتمتع بخمرة في حياتك
انما الله عن تقاك غنى فتفرغ منها الى لذاتك

تأملات فى الأدب والحياة

بين الشرق والغرب خصومة قديمة ، يرجع اصلها الى الدم والى اختلاف النزعات التى يوجدها عادة تباين الناس في الميول والنزعات . فاذا رجعت الى التاريخ القديم الفيت هـذه الخصومة قائمة على قاعدة تختلف عن القاعدة التى تقوم عليها الخصومة فى العصور الحديثة .

اينعت المدنيات الأولى فى جنبات الشرق وتحت ظلاله الوارفة . ففى غابات الهند القديمة ، وفى الوديان الخصيبة كوادى النيل والفرات ، نشأت اول الجماعات الانسانية التى اقامت مدنية شيدت اسسها مع المدن المسورة الحصينة . ومن طريق المدينة تكونت فكرة القومية ثم اتسعت فكانت الامم التى يجمع بين افرادها نظام ، المدنية احد مظاهرة .

لهذا كان الشرق اسبق من الغرب الى تكوين فكرة الاستعمار وغزو الشعوب التى حفت بمراكز المدنية القديمة فى وديانها الخصيبة وغاباتها الملتفة. وهنالك سبب آخر للخصومة تستبينه فى قيام الروح الدينية فى الشرق . فتحت سماء الشرق الصافية وفى براريه وصحراواته المتسعة نشأت الأديان الأولى. فنشأ فى الهند بوذا وبراهما وفى الصين كونفوشيوس العظيم وفى برية فلسطين موسى وعلى ضفاف الأردن عيسى وفى جوف الصحراء محمد . هؤلاء هم المصابيح التى اشع ضياؤها في سماء الجهالة الاولى فانارت السبيل على قدر مااحتملت عقلية الأنام في العصور التى نشؤوا فيها . أما الغرب في ذلك الحين فلم يكن ليسترشد بشيء من هذه الاقباس ، بل كان لايزال عاكفاً على الصور الميثولوجية القديمة ، قانعاً من الحياة بأن يكون اهله قبائل لاعمل لهـا الا ما كان لاعراب البادية من عمل قبل الاسلام وبعده .

وكرت السنون وانقلبت آية الحياة ، من حياة روحانية عكف عليها الشرق الى حياة مادية ومدنية صناعية لم يعرفها الا الغرب . وهنا انقلب وجه الخصومة ، ورجعت موجة الحياة تمد من الغرب على الشرق فتغرقه فى

غمار تلك المدنية المادية فهوى في بحرها الخضم الى الاعماق .

اما اذا عرف الشرق كيف يستطيع ان يقاوم هذه المدنية المادية فهنالك يتحرر . ولا أظن أن الشرق يمكنه أن يتخلص من مخالب هذه المدنية قبل أن يعزم على انتحالها ليقاوم موجة الاستعمار الغربى بقوة مستمدة من نفس مدنيته.

* * *

ظل الجامع الأزهر ، وهو الجامعة الاسلامية الكبرى في انحاء العالم الاسلامى، في مخاض يعانى آلامه سنين طويلة . وفي ظنى أن زمان الوضع قد قرب . ولعل هذه الآلام الطويلة تحبو هذه الجامعة الكبرى بمولود جديد تقر به عين مصر وعين العالم العربى الاسلامى باجمعه .

بدأت هذه الجامعة الازهرية تشعر بآلام المخاض عندما فكر الاستاذ الكبير محمد عبده فى اصلاح الازهر ، وعندما أراد أن يدخل في برامجه علم الجغرافية والفلك وشطر من الفلسفة اليونانية التى تؤيد نظريات الاسلام، وغير ذلك من وجوه الاصلاح .ولقد اشتدت بعد هذه الحركة آلام المخاض فرمى المصلح الكبير بالكفر والمروق عن الدين والخروج على السنة والكتاب .

واليوم نسمع من فضيلة شيخ الجامع الأزهر في مذكرته التى رفعها الى رئاسة مجلس الوزراء أن الدين لايعاند العلم وأن الازهر يجب أن تحور برامجه تحويراً ابعد مدى عن التحوير الذى اراده الاستاذ محمد عبده . اليس فى طلب الاستاذ صاحب الفضيلة أن يكون علم مقارنة الأديان من العلوم الاساسية في الأزهر، دليلا على أن هذه الجامعة كادت تخلص من آلام المخاض الطويلة وأن زمان الوضع قد قرب ؟

* * *

يفكر صاحب المعالى وزير المعارف بجد فى انشاء مجمع علمى ، قد يطلق عليه اسم المجمع اللغوى اوالاكاديمى او غير ذلك من الاسماء . ولا

يعنينا ان يكون مجمعاً او منتدى او اكاديمى فالاسماء لاقيمة لها بجانب النظام الذى يجب أن يقوم عليه هذا المعهد الكبير.

ولا يجب أن ننسى مع تكوين هذا المعهد انه يتكون فى مصر وفى الشرق . لهذا ينبغى لنا أن نلاحظ فى تكوينه عدة أشياء :

أولا — ان أعضاء المجامع التى هي من صبغة هذا المجمع فى أوروبا يعيشون من اقلامهم ، اما فى مصر فانه يتعذر على رجل يريد ان ينقطع للبحث والدرس ان يعيش من قلمه ولو كان فى منزلة الجاحظ بلاغة وفى منزلة سحبان فصاحة .

ثانياً — يجب أن يتكون المجمع من اشخاص احبوا العلم لأجل العلم نفسه ، وأن ينتخبوا انتخاباً يتوخى فيه قبل كل شيء المصلحة العامة ومصلحة العلم والأدب ، وأن يتحرر تكوين المعهد من الاغراض الشخصية .

ثالثاً — اذا قصد ان يكون هذا المجمع لغويا وجب أن يلحق به معهد للترجمة يغذى المجمع دائماً بالمصطلحات الجديدة . هذا على ان يترك المترجمون احراراً فى وضع المصطلحات ويناقشون فيها امام المجمع وان تدون المناقشات العلمية اللغوية في مضابط يرجع اليها ، وتكون هذه المضابط في المستقبل نواة لوضع القاموس العلمي الحديث.

رابعاً — ان تهيء الحكومة اعضاء المجمع ومترجميه بكل مايضمن لهم حياة هادئة بعيدة عن مشاغل الدنيا وان تكفيهم شر الحاجة لينصرفوا الى العمل المنتج بقدر المستطاع .

هذه الاشياء الاساسية يجب ان تراعي فى تكوين هذا المعهد الكبير الذى سوف يكون ، ولو عندى على الاقل ، اكثر فائدة من مائة جامعة يدرس فيها فطاحل من امثال لالاند وغيره من العلماء الذين لا يمكن ان ينزلوا الى مستوى طلبتنا ولا يمكن ان يرتفع طلبتنا الى مستواهم .

***

يجرنا حديث المجمع اللغوى الى التحدث عن الجامعة .فقد دارت مناقشة بينى وبين احد الاصدقاء المطاعين على حركة العلم والتعليم في أوروبا ، وكان

من رأيه أن الجامعة المصرية الحديثة لا يمكن ان تنتفع بامثال لالاند ودجوي وغيرهم من كبار الاساتذه الفرنسويين وان الجامعة ان انتفعت بمن هم فى منزلة هؤلاء من العلماء العمليين الذي يدرسون علوم النبات والحيوان والفيزيقا والكيمياء مثلا ، فانها لن تنتفع بامثالهم ممن يدرسون الآداب. والسبب من هذا ان اساتذة الآداب الذين يصلون هذه المنزلة العليا تتحجر آراؤهم وتتبلور حول مذهب معين قد يكون مبتكراً او منتحلا ، وقد يكون راجعاً الى مذهب حديث أو قديم . وهؤلاء لاينتفع بهم طلبة مبتدؤون في الدرس يجب ان يدرسوا العلم من ناحية تاريخه اولا ليقفوا على تدرج العقول فيه واوجه نشوئه وتطوره .وكان من رأى محدثى ان الجامعة يجب ان تنتخب اساتذتها من الطبقة التي يمكن ان توافق فيها مقدرتهم عقلية الطلبة المصريين على حسب كفاياتهم .

ولقد أخذت افكر فى كلامه طويلا ، ثم عجبت كيف أن هذه الاعتبارات قد غابت عن الذين اسسوا الجامعة ووضعوا قواعدها ؟ وما افترقنا الا وانا اشدا اقتناعا بفكرته مما كنت قبل أن احادثه .

***

يعتمد الشرقيون دائماً على حكوماتهم فى كل الاعمال العامة. وفي حدسى أن اول واجب على حكومات الشرق ان تضع هذه الحقيقة نصب اعينها .

ولدينا دليل ثابت على أن هذه الحقيقة كانت طوال الأعصر ذات اثر بالغ في حياة الامم الشرقية • فلم تنهض امة من امم الشرق الا تحت ظلال حكومة تعمل على نشر العدل واقرار الحقوق من نصابها • وهذه الحقيقة إن أمكن تطبيقها على كل الامم في الشرق والغرب ، الا ان هنالك فارقاً لانفطن له دائماً • وهذا الفارق هو أن الغربيين قد استطاعوا أن يحوروا من نظام حكوماتهم بمحض ارادتهم ، فكانت الشعوب هي التي تكون الحكومات • اما في الشرق فان الحكومات هي التي تكون الشعوب •

***

بدأ مستر « بوزويل » الكاتب المعروف كتابه في ترجمة « صموئيل جونسون » معتذراً عن تأليف الكتاب ، قائلا ان كتابة ترجمة الرجل الذي بز كل أدباء الدنيا في الترجمة عن حياة العظماء مهمة شاقة . والحقيقة ان مهمة الكاتب كانت شاقة جداً .

وكما بز جونسون كل كتاب التراجم فى الدنيا ، كذلك بز الشعب الانجليزي كل امم الارض فى القدرة على الترجمة عن حياة عظمائه . وعندي ان هذا سر عظمة هذا الشعب . فان الرجل الانجليزي فى مستطاعه ان يقف على دقائق حياة عظمائه من طريق الترجمة عن حياتهم التى ينقطع لها فى كل عصر نخبة من الأدباء يشار اليهم بالبنان . بل في استطاعة كل انجليزي ان يكون من عظماء رجاله حلقات متتابعة تزوده بارق المثل ، وتعظه بأنكى المثلات ، وتضع امام عينه تاريخ امته العظيمة في نسيج تتعارض فى خيوطه الشخصيات العظيمة على مدى العصور

ولئن كان للشعب الانجليزي من أدب يضارع آداب ارق الامم ، فانه يبز كل الامم ويمتاز عليها بعنايته في الترجمة عن حياة عظمائه . ولقد يخيل الى ان هذه صناعة اختص بها الانجليز ، ولعلها مستمدة من روحهم الوطنية ومن اخلاقهم القومية التى توارثوها جيلا عن جيل ، حتى انحدرت الى عصرنا هذا فكان من نتائجها تلك الامبراطورية التى يبغضها العالم — ولكنه لا يستطيع ان يستغنى عنها .

* * *

بدأنا ندرس عمر الخيام في العصور — وبدأنا نضعه فى ميزان النقد والتحليل . ولا ادري كيف يمكن ان نخلص من درس عمر الخيام بفكرة تمكن ان يكون فيها بعض الثبات ، اذا لم نعمد إلى درس امثاله من الشعراء الذين غلبت الحكمة في اشعارهم ، واخصهم ابو العلاء المعري . وكذلك سوف نكب على دراسة عصره الذي عاش فيه . ولكن الحقيقة ان كل عصور المدنية العربية متشابهة جهد التشابه . ففيها تجري روح واحدة فاذا اختلفت في بعض الاحيان مظاهرها ، فانك تجد انه اختلاف يلابس ،

الكم لا الكيف

هذه بعض اعتبارات تواجهنا في درس عمر الخيام . على انى اعتقد قبل كل شيء ان الاعتماد على درس هذا الرجل العظيم يجب ان يوجه اولا الى درس نفسيته . وهذه دراسة لها فوائدها كما ان لها متاعبها ، ومصاعبها . غير انها على اية حال الاساس الذي لا يمكن ان نبلغ الى درس عمر الخيام بغيره • فاذا استطعنا ان نلخص من درس عمر الخيام بتحليل نفسيته اولا بعد ان نمهد لذلك بدرس في حقيقة رباعياته، لانها العمدة فى هذا الدرس ، استطعنا ان نصل الى شيء من حقيقة هذه الشخصية الغامضة

***

يتساءل الناس كثيراً كيف تختلف روح البحث فى المسائل العلمية عنها في بقية فروع المعرفة الانسانية • والجواب على ذلك من ابسط الاشياء

فان العلم بعيد عن الروح المذهبية ، فهو لا يجزم بان ما يصل اليه من النتائج مهما كانت صحة الادلة التى تقوم عليها ، يمكن ان تظل كما هى على تتالى الدهور ، فان اول ما في اسلوب العلم من المرونة الاعتقاد بان حقائقه رهن التغير والتبديل آناً بعد آن تبعاً لما يجد فى فروع المعرفة الانسانيةمن الابحاث والحقائق • اما بقية فروع المعرفة ، وان كان في استطاعتها ان تتبع في ابحاثها الاسلوب العلمى ، الا انها الى ناحية المذهبية اقرب منها الى ناحية التحرر•وهذا هو السر في الفرق بين الناحيتين ، ناحية اليقين وناحيةالتأمل

فيلو بونس

تراجم العظماء



لامارك

جان باتيست بيير انطوان ده مونت شيفاليه ده لامارك

Jean patiste pierre Antoine de monte chevallier de Lamarck.

من أشهر من أنجبتهم الامة الفرنسوية من الطبيعيين . وليد سلالة من أشرف السلالات الفرنسوية وأضخمها مجداً . ولد فى بلدة «بارتيين» بمقاطعة بيكارديا فى أول أغسطس سنة ١٧٤٤ . وتوفى فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٢٩ .

دخل فى أوائل ايامه الكنيسة ، وقفل منها الى خدمة الجيش . وبعد قليل وقعت له حوادث أقصته عن الخدمة فى الجيش ، فصار كاتباً فى احدى البيوتات المالية وأكب فى اول عهده بدرس العلوم على الظواهر الجوية — Metéorology — ثم رغب عن هذا العلم الى النبات وحاول أن يقسمه تقسيما جديداً ففعل ولكنه لم يصادف نجاحاً . وطبع عام ١٧٧٨ كتابه فى نباتات فرنسا واقعاً فى ثلاث مجلدات وهو الكتاب الذى أخذه العلامة «دهكاندول — de Candole — فيما بعد قاعدة لكتاباته ومباحثه . ثم انتخب بعد ذلك بقليل ليكون رئيساً لجماعة المباحث النباتية الملكية . وكتب خلال المدة التى قضاها فى منصبه هذا كثيراً من المقالات فى علم النبات نشرت في فرنسا . وبعد ان قضى من علم النبات مأربة ، اكبر على دراسة علم الحيوان . وفى عام ١٧٩٣ عين استاذاً لتدريس « تاريخ حيوانات الدنيا الطبيعى » فأفاد بمباحثه هذا العلم فوائد جمة يذكرها له التاريخ فى القرن الثامن عشر أجل ذكر . ثم ظهر كتابه ـ « تاريخ ذوات الفقار الطبيعي » ـ الذى كتبه بين عامى ١٨١٥ ، ١٨٢٢ واقعاً فى سبعة مجلدات ضخام وهو من أشهر كتبه . ولقد وضع في كتابه هذا ، وفى كتاب « فلسفة الحيوان » ـ Philosophie Zoologique ـ الذي طبعه في باريس عام ١٨٠٩ واقعاً فى ثمانية مجلدات ، من القواعد والنظريات ما يعتبر الآن بعضها من أخطر نظريات علم الحيوان الحديث ، ولم يفقدها مر الزمان وتطور العلم ما لها من المكانة والشأن ، ولو ان معاصريه من العلماء لم يقدروا كتاباته قدرها ويعتبر كتابه « فلسفة الحيوان » حداً فاصلا بين عهدين علميين ، عهد القول بالخلق المستقل ، وعهد القول بالنشوء فى العصور الحديثة ، على ما يقوله الالمان ، اذ يقولون بان مذهب النشوء تم بناؤه فى مائة عام ، بدأها العلامة « كاسبار فردريك وولف » الالمانى بمقاله في الأجنة عام ١٧٥٩ ، وتوسطها « لامارك » عام ١٨٠٩ بكتابه « فلسفة الحيوان » وأتمها العلامة « تشارلز داروين » عام ١٨٥٩ بكتابه « اصل الانواع »

وللعلامة لامارك عدا ذلك مبادىء فلسفية كثيرة منها ما ذكره دكتور « شميل » في كتابه الذى نقله الى العربية عن بخنر الالمانى وهي :

١ ـ التقاسيم المعول عليها كالطوائف والصفوف والانواع ليست طبيعية بل اجتهادية

٢ ـ الانواع لم تتكون الا شيئاً فشيئاً ، ووجودها نسبي وثباتها في الازمة محدود

٣ ـ اختلاف الحالات الخارجيـة يؤثر في تكوين الحيوان وصورته كلياً وجزئياً

٤ ـ الطبيعة كونت الحيوانات اولا فاولا مبتدئة بادناها ومنتهية بارقاها

٥ ـ النباتات والحيوانات لا فرق بينها الا بالحس .(١)

٦ ـ الحياة ليست الا طبيعية

٧ ـ النسيج الخلوى اصل كل حى

٨ ـ لا مبدأ حيوى منفصل

٩ ـ الجهاز العصبي مولد الافكار وكل أعمال العقل

١٠ـ الارادة غير حرة

١١ـ الادراك ليس الا ارتقاء فى اشتراك الاحكام

***

---

(١) أثبت السير بوز الهندى ان للنبات حسا كالحيوان . واذن يكون الفرق بين حس الحيوان والنبات راجع للكم لا للكيف .

هربرت سبنسر

Herbert spencer

هربرت سبنسر كاتب من أشهر كتاب الانجليز وجهبذ من الجهابذة المحققين الذين أخذوا من الفلسفة بنصيب وافر فى القرن الماضى ولد فى دربى عام ١٨٢٠ وعلمه ابوه مبادىء الرياضيات . وعمه « توماس سبنسر » احد رجال الدين اشتهر بحرية آرائه فى المسائل السياسية والدينية . وكان « هربرت » مهندساً فى خدمة الحكومة وظل فى منصبه هذا ثمانية أعوام كتب خلالها رسائل فى ابحاث هندسية ورياضية ، نشرت فى صحيفة « الهندسة والرياضة » . وفى سنة ١٨٤٢ ظهرت له عدة مقالات في جريدة « النونكو نمورمست » فى « سلطة الحكومات الطبيعية وحدودها » وطبعت بعد ذلك فى كتيب صغير . وظل محرراً فى جريدة « الايكونومست » — The Economist — حتى سنة ١٨٥٣ وفى خلال هذه الفترة طبع اول كتاب له « وهو « التقويم الاجتماعى » . ومن ثم اخذ يراسل كبريات المجلات والصحف السيارة. وفى سنة ١٨٥٥ ظهر كتابه « مبادىء علم النفس » — Principles of paychology — وبدأ في أوائل سنة ١٨٦٠ ينشر مقالات عديدة فى علوم مختلفة كالاجتماع وفلسفة الاخلاق والتربية والحياة ورسائل انتقادية منها رسالة فى ماهية الارتقاء ، وانتقاد فلسفة « أوغست كونت » الفيلسوف الفرنسوى المعروف صاحب الفلسفة اليقينية — The positive philosophy — وكتابه « علم النفس » الذى طبع بين عامى ١٨٦٢، ١٨٦٧ . « ومبادىء علم الحياة — princpiles of Biology — عام ١٨٦٤ ومبادىء علم النظام الاجتماعى _ principle of Sociology _ طبع سنة ١٨٧٦، ١٨٨٠ ومبادىء علم الاخلاق — prinicple of Ethics — عام ١٨٧٩ . وكتابه فى التربية عام ١٨٦١ ودراسة علم الاجماع عام ١٨٧٢ وعلم

الاجتماع الوصفى ـ Descriptive sociology ـ الذى جمعه وهذبه بين عامى ١٨٧٣ ـ ١٨٧٨، ولقد أوسع من نطاق نظرية النشوء والارتقاء وطبقها على فروع العلوم وبحثها، فهو بذلك من اكبر انصار « داروين » وأول من طبق مذهبه على أصول العلوم الحديثة فى القرن التاسع عشر .

وهربرت سبنسر واضع « الفلسفة التركيبية » ـ sytnhetic philosophy ـ ولا يوقفك على ماهية فلسفته مثل العلامة « تيودور مرتز » في كتابه « تاريخ الفكر الأوروبى في القرن التاسع عشر اذ يقول ـ

« وبينما كانت المباحث التاريخية آخذة بزمام العقول في المانيا ، بل قضت القضاء على « الفلسفة النظامية » ـ systematic philosophy ـ أى الفلسفة ذات القواعد المرسومة، انتجت انجلترا لاول عهدها فى تاريخ التفكير مذهباً فلسفياً . ذلك المذهب الذى ابرزه العلامة الكبير هربرت سبنسر . على أن من الحقائق الخطيرة فى تاريخ الفكر ، ان مبدأ « توحيد المعرفة » الذى بثه سبنسر فى ذلك المذهب ، مبدأ تاريخى . وهو فى قوامه عبارة عن طريقة من التحول التدرجي التى نعرفها الآن « باسم النشوء » ـ Evolutionism ـ ويكون هذا المذهب في مجموعه فكرة مناقضة للفكرة التى بثها « هرمان لودز » فى آخر مذهب فلسفى من المذاهب العظمى التى ظهرت فى المانيا . فكل المذاهب النشوئية اذ تقضى بان وحدة الاشياء تاريخية صرفة، وان هذه الوحدة يجب أن يعود الانسان في بحثها إلى اصل اولى عنه نشأت، اذا بك تجدان « لودز » قد حاول أن يثبت أن الحقيقة تنحصر في الاعتقاد بان لوحدة الاشياء وجود ثابت ، وانها مبدأ موجود في كل الاشياء المفردة ، وليست كما يقول النشوئيون ، عبارة عن حقيقة تربط بين الموجودات بمقتضى الزمان والمكان » .

ومن ذلك تدرك أن مذهب « سبنسر » في النشوء يرمى الى اثبات « وحدة الفكر » مع احداث ذلك التصور الذى يؤدى الى الاعتقاد بان الاشياء تحتفظ ببقائها ، وان الحوادث تقع ، خضوعاً لعلاقة واقعة بينها يمكن ادراكها، وان وجهتى النظر الدينى والعلمى فى هذه الحياة يمكن التوفيق بينها



ليوبولد فون بوخ

من اشهر علماء المانيا في الجيولوجيا والحفريات . ولد في استيلوبه ببروسيا عام ١٧٧٤ وقيل ١٧٧٧ وتلقى علومه على الاستاذ « فرنر » في مجمع فريبرج العلمي . ثم رحل بعد ذلك عدة رحلات علمية في المانيا واسكانديناوة حتى بلغ رأس الشمال ثم عاد الى انجلترا وفرنسا وايطاليا وزار جزر الكنارى عام ١٨٠٢ـ ١٨٠٩ وطبع كتابه المسمى « الملاحظات الجيولوجية في المانيا وايطاليا » وعام ١٨١٥ كتابه « وصف جزر كناري الطبيعي » . وفي عام ١٨١٠ طبع كتابه السياحة في نروج ولابلاند » ونشر عام ١٨٣٦ عدة رسائل قيمة في طبيعة تكوين الطبقات الأرضية في المانيا . ونشر عام ١٨٤٠ كتابه في سلاسل جبال روسيا . وكان قد بدأ منذ سنة ١٨٣٢ ينشر مقالات في

اوصاف نوع من الانواع الحفرية يقال له اصطلاحاً « العمونيات » — Ammonites — وكان العلماء قد سموا هذا النوع من قبل « قرن عمون » لمشابهته لقرن الآلة « جوبتير » — عمون . عند المصريين. وكان المصريون القدماء يمثلونه بكبش يضعونه في الهيكل العظيم الذى بنوه له في واحة سيوة . والعمونيات صنف من الأصداف ذوخلايا عديدة . وهو من الحيوانات الرخوة الكبيرة ، وله قرون عظيمة بعضها ملتو على بعض التواء يكون شكل دائرة تامة . وقال بعض علماء الحفريات بانه ضرب من الافاعى الحفرية . ورسم « فون بوخ » عدة خرائط بين فيها الطبقات التى تتكون منها الاراضى الالمانية ، وما جاورها من الممالك واقعة فى ٤٢ لوحة . وتوفى ببرلين في ٤ مارس سنة ١٨٥٨ ، وكان على نبوغه من علم طبقات الأرض ، راسخ القدم فى العلوم والتاريخ الطبيعى . ا . م

أمل مفقود

ضلت أمانى نفسى فى مسالكها وأبهم الرشد عنها ليلُ دنياىَ
سمعتها وهي تشكو الدهر قائلة « له من الحزن قد أمحلت مرعاى
بثثت فى موطنى هماً يؤرقنى ويصدع القلب حتى عفتُ مثواى »
وصاح قلبى بجنح الليل مرتجياً أن يستعيد له عهداً وإياى
وقال : قد كانت الآمال بى سفناً ترسو علىّ ، فقالت : أين مرساى ؟
رمى بى الموج فى تيار داجرة وأصبحت جزرُ الآلام مأواىَ
ترحلت وترحلت الآمالُ تتبعها وخاب فى أن أرادا كل مسعاى

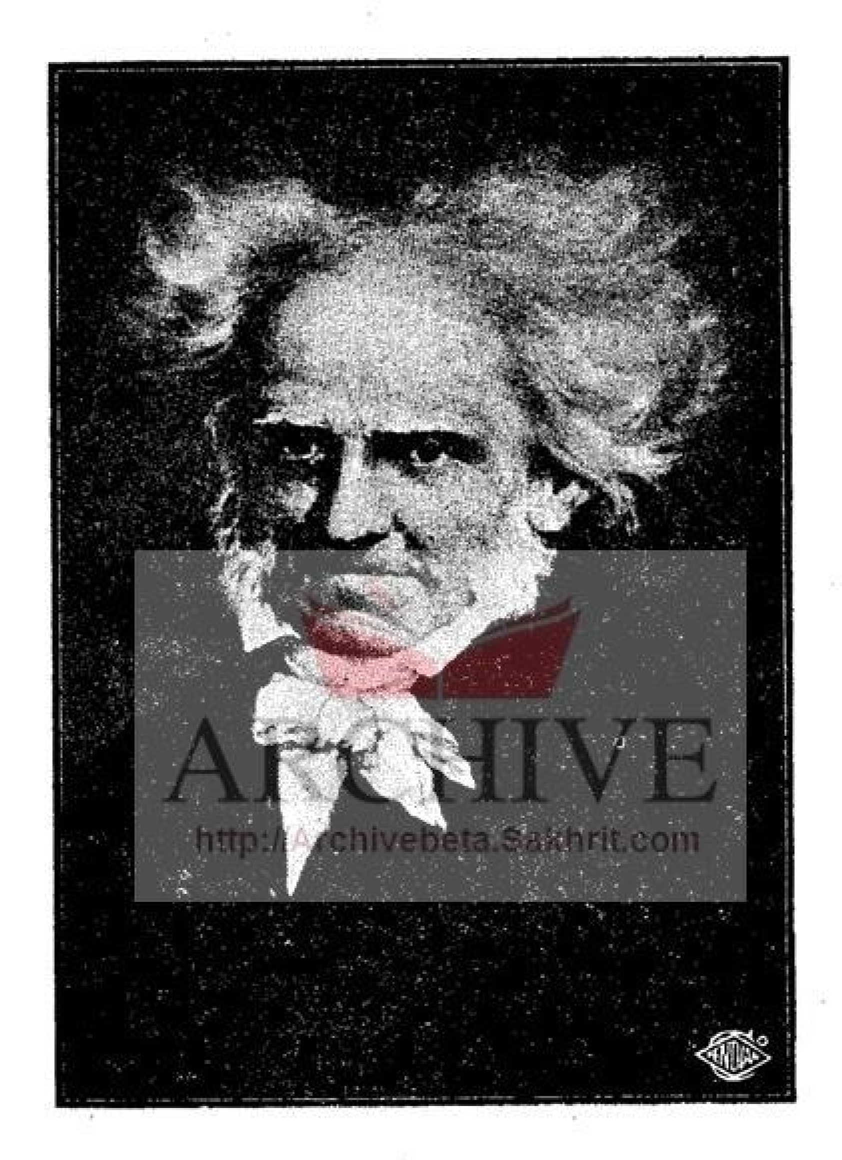
***

ناجيتُ قلبى وقد ولى على عجل عنى فما انصات بالقلب نجواىَ
من أين لليل آذان فيسمعنا وهل تذيب حنانَ الليل شكواى
نامت عيون الألى باتوا على أمل وسهدت فى ظلام الليل عيناى
(كل يغنى على ليلاهُ) منتصراً لكننى لست أدرى أين ليلاىَ ! !

حسن كامل الصيرفى

شوبنهور

ومذاهبه في الفلسفة الحديثة



ولد « ارتور شوبنهور ـ arthur schopenhauer » فى « دانتزيج Dantzyig » في الثانى والعشرين من فبراير سنة ١٧٨٨ وكان أبوه تاجراً صيرفياً . فبعد ان تربى التربية الحسنة وحصل القليل من العلوم ابتدأ يساعد أباه في الاشغال وفيما هو متجول في عواصم اوروبا للمصلحة التجارية فاجأه نعي والده فرجع الى المانيا يهتم بتسيير الاعمال كما تركها له لكنه لم يكن يرى من نفسه ميلا لمتابعتها فاعتزلها ودخل جامعة « جوتنج Goettingin » فى برلين يدرس الفلسفة . وفي ذلك الوقت ، اي وهو فى سن

العشرين • الف رواية « جبريله Gabriele » وكان يعد من الكتاب الممتازين •

والذين درسوا حياته بالتدقيق عرفوا مبلغ بغضه « لفخته Fichte »
ذلك البغض الذى ولد في نفسه الجزم بآرائه الفلسفية وعدم قبول التلمذة
على أحد حتى انه مدة اقامته في « يينا Jena » رفض قبول الآراء الشائعة
فيما يختص بالله والارادة

اول تآليف شوبنهور « العالم كارادة وتمثيل » La monde comme
Volonté et commerep resentaion » ظهر في « ليتبرغ Liepzig سنة ١٨١٩
وهو معارض به آراء كل من تقدمه من الفلاسفة وقد أثر كتابه هذا تأثيراً كبيراً
في الوسط العلمى ببلاغة لغته وقد قال عنه مسيو « فيشر Fischer » انه
اقدر كاتب في اوروبا من جهة ابداع الافكار وحسن سبكها في التعبير عما في
الكتب العلمية • والذي زاد اعجاب المفكرين به وقوفه كعدو لدود فى وجه
انتقادات الرجعيين الملقبين « بدنتيست pedentiste » الذين لم يتركوا قبساً
من نور حرية الفكر يتلألأ في اوروبا في ذلك العصر • وقد بارح جامعة
« جوتنجن » الى ايطاليا بلاد الجمال والخيال ووقع فيها على عظمة الفنون
الجميلة التى ساعدته فيما بعد كل المساعدة علي تفهم ما توخاه من الابحاث وعاد
من ايطاليا سنة ١٨٣١ الى فرنكفورت Frankfurt » فظل فيها حتى وفاته
سنة ١٨٦٠

— شيء من آرائه —

تنحصر عظمة شوبنهور في وصفه مذهب « كانت Kant » فى الله
والارادة • « فكانت » يقول ان الله مصدر الارادة و « شوبنهور » يقول
ان الانسان مصدر الارادة ويستند كلاهما الى التعاليم « الميتافيزيقية » في
تثبيت رأييهما. ولكن « شوبنهور » اقرب الى الصواب فى آرائه من
« كانت » لانه اثبت بقوة البرهان ان ليس للآلهة من سلطة علي البشر وان
ما يبدو من الاعمال الصالحة والشريرة يرجع لارادة الانسان الشخصية •

وقد استنبط لتأييد رأيه هذا اسلوباً جديداً اظهره بمظهر غير قابل للتحوير ورغبته فى معارضة « كانت » كل المعارضة جعلته يتطرف فى اسلوبه هذا حتى تشاءم من الحياة وقد حصر تشاؤمه هذا فى ان الارادة الشخصية التى تكيف الناس حمقاء وعمياء وشريرة وان ايجابيتها تفريغ الموجودات بالتدريج وان اظهر مظاهر هذه الايجابية تتجلى فى الفرع البشرى من حيث المعرفة والادراك ،والمعرفة والادراك اداة توصل الى الحرية والى مقدار الرغبة • وليس هذا فقط ،بل ان هذه الارادة تؤلمنا فى بعض الاحيان اذ انها تقذف بنا الى تيار المصائب الجارف وتدفعنا الى قهر انفسنا لنوال السعادة الوهمية والى حصول ذاتيتنا كما هي

تآليفه

تآليف « شوبنهور » عديدة الا ان ماانتشر منها هو فقط •

« العالم كارادة وتمثيل » سنة ١٨١٩ • و « اربعة اصول مبدأ العقل الكافى » سنة ١٨١٢ و « النظر و الالوان » سنة ١٨١٦ و « المسألتان الاساسيتان للاهوت الأدبى » سنة ١٨١١ و « الارادة في الطبيعة » سنة ١٨٣٦ و « اساس اللاهوت الأدبى » سنة ١٨٤٠ وكلها على جانب عظيم من البلاغه وقد أثرت في عقلية الشعب الجرمانى تأثيراًمحى كل ما كان قد علق باذهان القوم من فلسفة « كانت » ومن سبقه من الفلاسفة المؤمنين • واول طبعة كاملة لهذه التآليف القيمة طبعها « فرودنستادت » » وذلك بعد موته •

ـ آدابه ـ

لشوبنهور آداب قلما كانت لغيره من فلاسفة الجيلين السابع والثامن عشر فهو مع تشاؤمه كان من ارضى الناس اخلاقا لانه مع كشفه عن أصل الآداب قد سير نفسه في سبيل آرائه الصحيحة وقد اتخذ مثالا لنفوذ الباعث الأدبي الذى روض ذاته عليه ولهذا اشار الدكتور « ريفول دالونيه Revault D,allonner فى مقالة له أن جمعية الاتحاد الانجليزى لتحرير

العبيد التى انفقت اكثر من عشرين مليون من الايرات لم تعمل اكثر مما عمله « شوبنهور » بنفسه

وهو فى مبدئه هذا وفى آدابه يعارض مذهب « كانت » المعروف بمذهب « الامر والنهى الصريحان Limiperatif categoriqe» الذى يمثل الباعث الخيالى للآداب ذلك الباعث الوهمى والغير النافذ . فآداب الكانتيين « Kantien » آداب مسيحية تزيت فى زى من تلك الجمل المنمقة، أما آداب « شوبنهور » فآداب صحيحة مبنية على الرأفة والشفقة بدون طلب التعويض آجلا أو عاجلا .

يقول « كانت » ان الله علة ممكن الاعتراف بوجودها ولكنها ليست ضرورية للآداب وهكذا الزمان فانه مغذ لاغير ويقول ان الباعث الحقيقى للآداب هو المصلحة او الخوف ولكنه فى قوله هذا يعارض مذهبه فى كل تآليفه ولا سيما رأيه فى تقدير قيمة الآداب وواجب الانسان نحو نفسه اما « شوبنهور » فيقول ان الرأفة هى النبع الوحيد الذى تتدفق منه مياه الآداب الخالصة . وهكذا نودي بها فى آسيا نيفا والف سنة قبل المسيح . وهى لا تشمل فقط أعداءنا من البشر بل من البهائم أيضاً وان منها تولدت فضيلة مؤسس المسيحية كما فى الانجيل وهى التى حجرت على الانانية وعلى الخبث وعلى الطباع الشرسة وصارت كقائد حكيم للنوع البشرى تفرض الفرائض وتسن الواجبات وتسير فى طرق صعبة المسالك وانما توصل الى السعادة الاجتماعية

أقول هذا بدون أن أجمع بين الاحوال التى أوجدت آداب « شوبنهور » وبين مبدئه لان المبدأ طلب أولى تنجم عنه كل الواجبات، وهذا متفق عليه بين العلماء ولكن « الاحوال الموجدة » قوة طبيعية لا تتجزأ ولهذا فالمبدأ يحتاج فى الآداب الى الرأفة والا فيكون بدون فائدة

— الصلة بين آدابه وميتافيزيقيته —

الشعور بالخير فطرى فى الانسان وغريزة لا تتبدل والرأفة هى المؤسسة

الوحيدة لاعمال الانانية الاجتماعية ولكن أغلب تنظيماتنا الظاهرة هى مخاتلة من شأن طبيعتنا المملوءة بالغرور فكيف نجمع بين كل هذه المتناقضات ونوحد هدفها ؟؟ — والآداب مع انها نتيجة الرأفة والشفقة أهى شرعية وذات علاقة بحياتنا الفردية والاجتماعية مع كل الاغلاط التى نرتكبها أم بالعكس ؟؟ . بل هى مع العدل ومحبة القريب مظهر من ازدراء هذه الآراء غير المعقولة« Fanfastique » فى هذه الحياة المتجهةالى التثقيف والفضيلة ؟؟ .

من هذه المسألة سار « شوبنهور » فرأى الافراد يختلفون عن بعضهم كل الاختلاف واندهل من مظهر الانانيين والخبثاء والباعث بملل مركبة فى نفوس الناس ،اعداها طلب معرفة حائدة عن الحقيقة والصواب، مائلة الى الخداع فى المظاهر والاعمال . فلهذا رأى ان الرأفة احسن دواعى هذه المتناقضات فأحبها من كل قلبه لانها عرفته مقامه فى العالم ودلته على مركزه بين هذه الموجودات الحية المتألمة من الانانية والطمع

— انتقاد آدابه —

بغض النظر عن مذهبه التشاؤمى « pessimiste » ومذهب القائلين بان الله انما هو كل الكائنات « pantheiste » وبدون تجاوز حدودالحياة التجريبية والبحث عما اذا كان الوهم سائداً فى هذا الكون دون الحقيقة، اقول كلمة فى انتقاد آدابه

فى المناظرة الحاضرة نقطتان اوليان هما الرأفة المنزهة المطلقة والرأفة المقيدة بالحق والعدل ،وبينهما رأفة انانية ترثى لألم القريب فقط . ولكن هل تعد هذه الثلاث اصلية وعلة موجدة ؟؟

يقول « شوبنهور » ان الواجبات العدلية العمومية المقيدة او المستترة تحت صورة اى مظهر سلبى آخر توضح ان الحق لا يعطى للناس الا بواسطة المساواة وهى بالاحرى صعبة ومحددة وهذا القول من رجل شاعر بالخير

انما هو على جانب من الابهام فهو يظهر لنا هنا ممتحناً برغبة وارتباك ليبين ان الرأفة لا تولد الا الدخول الايجابى فى محبة القريب وكأنه يقول ايضاً ان هذه الرأفة تنفى من جهة ثانية هذا الدخول على انه لا بد منه وهو جار نافذ بمجرى عظيم ونفوذ اعظم هذا ما يؤخذ على « شوبنهور » لانه عجز عن اعطاء الايضاحات الكافية لتأييد مبدإ اساسى فى فلسفته له فيه حق الاسبقية وواجب الشكر وان كان مبهماً لانه هكذا ظن الحقيقة ولم يوصله اجتهاده الى ابعد من ذلك

بيروت (٨ آب سنة ٩٢٨   ابراهيم حداد

وقفة

على نبع القطين

ايه نبع القطين قد جف دمعى   مذ الفت الجفا وشاب فؤادى
جف دمعى ، وكم ذرفت دموعاً   فى شبابى ، وكم شكوت سهادى
كنت ابكى اذا يئست ، وطوراً   فى هنائى وتارة في رقادي
كنت اسخو بدمع عينى حتى   اصبح القلب بعد ذلك صادي

***

انت يا نبع قد جفاك حبيبى   مثلما صدنى فلم انت شادى
مثل هذا الخرير لى زفرات   كن يسبين كل ناء وغادي
كن ينبتن فى الخيال جنانا   اين منها رياض هذا الوادى
كان لى نير وشمس ونسم   ونجوم ميسورة الانقياد

***

انا يا نبع كنت مثلك حولى   يفد الناس خاطبين ودادى

حبيب الياس

فى الرحاب

— ١ —

في ظلام الليل وتحت ستار الدجى ، وفي ليلة شاتية اشتدت حالكتها وارخيت سدول ظلامها ، خرجت سارة من بيت أبيها تحمل شجونها والآلامها ؛ وتجرر من ورائها اذيال الخيبة والانكسار . وليتها خرجت تحمل هذه الآلام وحدها ، بل خرجت تحمل شيئا آخر . شيء ثارت من حوله تيارات المشاعر النفسية كما تثور الكهارب من حول أنوية الذرات . فحب وبعض . وألم وأمل . وذلة واعتزاز . وشعور بالخجل العميق تتلوه نيةعلى التوبة الخالصة لوجه الله . وفى وسط هذه الثورة النفسية التى انبعثت تياراتها القوية باشد ماتبعث تيارات من الانفعال فى نفس بشرية ، شعرت سارة بحركة عنيفة اهتزت معها كل أعضائها هزة ظاهرة،واذا بسببها جنين يختلج في احشائها .

هى فى الثامنة عشرة من عمرها ممشوقة القد هيفاء ، سمراء اللون تضرب بشرتها الى لون أهل القرى الذين يعيشون فى ريف مصر ، شديدة الانفعال ثائرة العواطف كبيرة الآمال ، فيها جمال يغرى بها أهل الغواية ، ويغرى بها نفسها ، اذ هى تتصور أنها قبلة المحبين ومهبط آمال العاشقين . وكثيرا مايكون الجمال نقمة تنصب على أهل الجمال . وكثيراً مايكون للغواية سلما يمتليه الناس وهم بعد فى سن الشباب لايعرفون للدنيا من قيمة ولا للنظامات التى يقوم عليها المجتمع من سلطة . اما عنف النظامات الانسانية فيشعرون بها عن مايتم الجرم وتقع الكارثة .

وما كانت سارة أكثر شعوراً بثقل الوطأة التى القتها على كاهلها التقاليد

الانسانية ، منها وهى تفارق بيت أبيها تحت جنح الظلام ! ولكن الى أين ؟ الى الدنيا الواسعة . الى فضاء الارض التى لاتتناهى ولو درت حول كرتها الفاً من المرات . الى الرحاب الترامية الاطراف .

— ٢ —

والارض تملؤها الخلائق البشرية . غير انها قد هجعت سحابة الليل ، لتسعى اذا ما تنفس الصبح مرة ثانية على كسب أرزاقها ، من طريق الحلال ومن طريق الحرام . فكلها طرق تؤدى الى كسب العيش ، والكفاف حلال أم حرام ، خير من سؤال الناس مافي أيديهم عند العجز . لان الناس لم يعرفوا من معاجم لغتهم أكثر مما عرفوا من كلمات الرد مصوغة فى قوالب متفرقة يختار منها كل منهم مايشاء .

وسارة تسير على غير هدى فى طرق مشعبة متوية ، وقد خلت منها اليد وصفر الجيب ، فلا بلغة ولا مال . وهى تعلم علم اليقين بان الناس لا يملكون من شيء إلا كلمات الرد والانتهار لانهم أحرص على مافي أيديهم من كسب حلال أم حرام من ان يريقوه لامثال سارة بعد ان دهمتها أقدار الحياة بقدر اخرجها من بيت أبيها تحمل بين احشائها الجريمة مجسمة ، والرذيلة مصورة في صورة بشرية .

ومرت بها الظهيرة وجاء الاصيل ثم مال ميزان النهار وأخذت الشمس تنحدر نحو مغربها الابدى . وسارت على الطوى ، تتقد بين جنباتها نيران الجوع ، غير عالمة الى أى مصير تقذف بها خطواتها ، وقد ضلت فى فضاء الانسانية الطريق .

هنالك فى منعطف يكاد لاتتجه اليه أنظار الرقباء نترك سارة في حديث ذى شأن مع شاب من شباب زمانها الذين استوتهم زخارف المدنية ، وفتنتهم منازع الصباية ، لانتركها الى الأبد بل لنلقاها بعد ردح من الزمان طويل .

— ٣ —

ـ أتدرى أى حدث ينتظرنا فى جلسة الليلة ياعبد الفتاح ؟

ـ أى شيء فالسكينة مستتبة فى البلاد ، والوزراء منصرفون الى أعمالهم ، والاحزاب لاتجد من مجال لاثارة الشقاق القديم ، لان الحوادث لم تفتح المجال لتجديده .

ـ انك واهم ياحضرة العضو المحترم بل هنالك حملة مدبرة . من حزب الاقلية تريد أن تمهد بها السبيل الى الدعوة الملوكية فى بلادنا بعد أن حصلنا على نعمة الحكم الجمهورى . فان حزب الاغلبية وعلى رأسه عقيل البدوى ، و وكما تعرف خطيب مفوه وزعيم واسع العقل كبير المطامع ، سيبدأ اليوم حملته الاولى على الحكم الجمهورى .

ـ أنت تبالغ ياسامى في قولك .

ـ ليس في هذا مبالغة ، بل هى الحقيقة ، فان الحزب الملكي ، وهو أقلية لايهتم بها انسان فى هذه البلاد ، قد استعان بعقيل كما تعرف ، وقبل عقيل أن يكون رأسه المدبر ولسانه الناطق ؛ ليقلب الجمهورية إلى ملوكية يستعبدنا فيها الملوك كما فعلوا بآبائنا فى العصور القديمة .

— او هذا عصر الملوكيات ياسيدى . هاهى فرنسا تنعم اليوم بجمهوريتها ، بل لديك تركيا والصين ، ولا أذكر لك أمم امريكا على اختلاف نزعاتها وتباين مشاربها . ان الملكية فى هذا الزمان اصبحت فى حكم البقايا المستحجرة التى خلفتها الاحياء المنقرضة ، ليس لها من معنى اللهم الا لتدل على أن الماضي قد شهد ملوكيات خضعت لها الامم ، ورضيت أن تعيش فى كنفها ذليلة حقيرة .

— ولكن لاتنسي مع هذا أن للملوكيات المنظمة حسناتها التى لايمكن أن تنال في ظلال الجمهوريات . فان للنظام الملكى تقاليده ومفاخره ، وله تاريخه الذى يستفز الامم ، ويبعث فى نفوس الناس من شعور العزة القديمة ، مالا

تبعثه الجمهوريات . ولا يعزب عن ذهنك أن للملوكيات روعة الاشياء الموروثة عن الماضى . وهى روعة لاتجدها فى الجمهوريات القريبة العهد مثل جمهوريتنا هذه . ولا تغفل بجانب هذا عن أن عقيلا البدوى رجل يعرف كيف يقلب الحقائق وكيف يؤثر في الناس . ولئن عجز في البرلمان عن أن يستغوى العدد الأوفى من الحزب الجمهورى ، فان تأثيره في الجماهير سوف يزداد مع الزمان ، وربما استطاع ان يضعف حزبنا ضعفاً ظاهراً اذا لم يكتب له النصر فى النهاية.

— كل هذه الاعتبارات لاتعنيني . ولكن الذى يعنينى الآن هو كيف تحتمل جمهورية مثل جمهوريتنا ان يبشر فى داخل مجلسها النيابى بالنظام الملكى . وهل تسمح بذلك القوانين ؟

— الامر على النقيض . فلو كنا تحت حكم ملوكية اذن لاستطعنا أن نسكت الذين يجاهرون بميولهم الجمهورية ، أما ونحن تحت ظلال جمهورية فليس من حقنا أن نسكت الذين يطالبون بالملوكية .

ـ والسبب ؟

ـ السبب أن الجمهوريات تمثل أوسع الحريات التى يمكن أن يمتع بها شعب من الشعوب . وهى تحت عنوان حماية الحرية تعجز عن حماية نفسها .

ـ نظام غريب .وهكذا يعيش الحزب الملكى فى فرنسا ، كما يعيش عندنا

ـ نعم ولكن دى ريفيرا قد حطم الحزب الجمهورى بذلك استطاع أن يحمى ملوكيته التى اقسم لها يمين الطاعة ، وبذل جهده فى سبيل صيانتها وصيانة مصالح اسبانيا من طريقها .

ـ الظاهر أن الامم الشرقية لم تخلق لتحكم فى ظلال الجمهوريات . بل أنها عجزت عن أن تنفذ النظام الديمقراطى تنفيذاً ينصرف الى الصالح العام. وكيف تستطيع الامم الشرقية أن تطبق هذا النظام فى الوقت الذى عجزت فيه أكثر الامم اللاتينية عن تطبيقه ؟

— لقد بدأنا نؤيد عقيل البدوى قبل أن تسمع ما سوف يدلى به من بيان .

— ٤ —

-- للأقلية الحق فى أن تعبر عن آرائها بملء الحرية . فانا وإن كنا من الحزب الملكي ، الا أن النظام الجمهورى يحمينا .

ـ ان لى الحق فى أن أمنعك عن الكلام بصفتى رئيس المجلس ومن ممثلى الحزب الجمهورى الذى هو حزب الاغلبية ، التى تدين برأيه البلاد .

ـ اصرح بصفتى رئيس حزب الاقلية أن البلاد التى تدعون تمثيلها لا تعرف ان كانت تحكمها أغلبية مطلقة كما تدعون ، أم تحكمها أقلية نشيطة اتخذت أغلبية هذا المجلس ذريعة لاقتناص أغراضها . فنحن وأنتم أقليتان . أما أقليتنا فترتكن على عقلاء البلاد . وأما أقليتكم فترتكن على الجماهير . فاذا زدتم علينا بالعدد ، وازناكم باصالة الرأى ورجاحة الحكم على حقائق الاشياء . واذا أنت منعتنى عن الكلام اليوم فانك لن تستطيع أن تمنعنى عن الكلام الى الأبد .

ـ حقوقى القانونية استعملها فى منعك عن الكلام ، ويؤيدنى فى هذا أكثرية هذا المجلس المؤقر .

ـ نعم مجلس موقر جداً لانه يؤيد هذيانكم ويرضى بان تقتل الحرية جهاراً ويمنع مثلى عن الكلام فى نظام البلاد الاساسى ، وقد اخترتم فى أول مااخترتم النظام الجمهورى ليتسع لكم مجال التحكم في الرقاب بحق وبغير حق.

ـ نحن لا نريد أن نفتات على حرية أحد . ولكن اذا كانت الملوكيات لا تسمح للجمهوريين بان يعيشوا فى ظلالها ، فكذلك الجمهوريات لا يجب أن تسمح للملوكيين أن يبثوا دعوتهم الخبثية وهى قائمة فى الحكم . وبين يدى

الآن اقتراح بالغاء الحزب الملكي ، وبأن يصدر المجلس قراراً بفضه واتخاذ كافة الطرق للقضاء عليه .

ـ هكذا تكون الحرية في ظلال الجمهوريات . وهكذا يقتل الحق وتضيع حقوق الملوك المقدسة ضحية انزعات تجرى فى أدمغة أمثالكم من الارقاء الذين استعبدتهم شهواتهم ، وقتلتهم أهواؤهم ، وهم على الرغم فى أنهم أقلية تسحق أمامها أكثرية لا قيمة لها فى البلاد ، يدعون بانهم الاكثرية التى لها الحق فى أن تكون في مكان الملك الذى يحكم البلاد فى حدود نظاماتها الاساسية . نعم . أن كل جمهورى فى هذه البلاد قد أصبح ملكا مطلقاً تعنو له الجباه وتخضع له الرقاب. إنا نحكم بمآت من الملوك بدل ملك واحد . وانى بصفتى رئيس الحزب الملكي ؛ وهو حزب الاقلية العاقلة مع الفخر الكبير ، لا أحترم لمجلسكم هذا قراراً يصدره أو حكما يبرمه . وانى . . . . .

ـ خسئت وبأى حق تتكلم فى حكم هذه البلاد وأنت من غير عشائرها المعروفة ، ولا أب لك تنتسب اليه . فان الذى يتكلم في الحقوق العامة يجب أولا أن يعرف كيف نشأ ومن أى صلب انحدر .

ولم تكد هذه الكلمات القاسية تصل الى أذنى عقيل حتى وهى جلده وكادت تخونه شجاعته . ولكنه تجلد وتمالك نفسه شيئاً فشيئاً حتى استطاع أن يستعيد بعض ما تفرق من قوة بديهته . ثم اندفع يقول :

ـ ليس لهذه الاشياء الشخصية من علاقة بمسائل خلافية نريد أن ندلى فيها برأينا فى نظام البلاد . أما اذا كانت البنوة الشرعية من شأنها أن تخرج للبلاد كثيرين من أمثالك فانى أفضل عليها البنوة غير الشرعية اذا كان من شأنها أن تزود البلاد برجال يعرفون قدر بلادهم وقدر أنفسهم

وبعد نظرات زائغة رمى بها أطراف المجلس يمم بها شطر الباب بخطوات ثابتة رصينة، ثم التف بعباءته الكبيرة وأطرق الى الارض . ولكن خطواته

كانت تسابق أفكاره ليلقى أمه ؛ وهى على فراش الموت تنزع أنفاسها الأخيرة

— ٥ —

الام على فراشها وعقيل بالباب . غير أنه كان على الرغم من ثباته مصفر الوجه زائغ البصر يحدج أمه بنظرات حادة قوية .

ـ اقترب مني يابني لا بارككوأدعو لك دعوتي الاخيرة لعل الله يستجيب لأم فى ساعاتها الأخيرة دعواتها لابنها الوحيد .

ـ أماه !! لقد خدعتني طوال هذه السنين . اذا كان أبى قد سافر فلماذا لايعود ؟ واذا كان لايعود أبدا فمن هو ؟ وان التقيت به ؟ وهل أنا ابن شرعي لذلك الاب الموهوم

ـ رحماك يابنى بأمك وهى فى ساعاتها الاخيرة .

ـ لابد من الجواب الصريح ، والا فان هذا النصل يغيب حتى نصابه فى قلبك ، فاذا انتزع فانه يغيب مرة أخرى في قلبي ، لنذهب سوية إلى جهنم أو إلى الشيطان . تكلمى .

ـ رحماك

ـ لم يبق في قوس الصبر منزع بعد أن اعير بأن ليس لى أب يعرف له اصل انتسب اليه .

ـ إذا كان الامر كذلك فانى لست أخجل عن أن أحدثك عن أبيك وعن زلتى .

ـ أتحدثينني عن زلتك أيضاً ! أتجرئين على هذا ؟

ـ تصبر يابنى فأنى لاأموت اكثر من مرة . استمع ولكن حكيما .

ـ تكلمى اذن .

ـ هؤلاء الذين يتكلمون في أصلك ونسبك ، لو أنهم عرفوا من هو أبوك

اللذات رقابهم ، وخرست ألسنتهم . فانى إن كنت قد زللت فانى لم أزل طوع ارادتى ولكن تلبية لقواسر لم استطع أن ادفعها عن شرفى وعفافى .

ـ ان جدك لأمك هو . . . . وزير ذلك العهد الذى متعت فيه بلادكم بالملوكية وفى ظلالها دوخت الممالك وخطبت ودها الدول . وكان مليكك الصغير على عرش آبائه يزين له الشباب بما يزين ، وكان له أبى فى منزلة الناصح المرشد الأمين .

ـ نعم ولذلك طرد من ملكه وقامت على أثره الجمهورية .. أليس كذلك ؟

ـ لا أعرف يابنى من هذا شيئاً . بل الذى اعرفه أن جدك كان يمت إلى اصل عربى قديم ونحن من بيت عقيل المعروف ولذلك سميتك باسم قبيلتك التى انتمى اليها ؛ لعلك تفطن اذا مت قبل أن افضح لك السر إلى انك من بيت شريف .

ـ ثم ماذا ! ! !

ـ ثم أخذت حوادث الزمان تترى . وكنت فى صباى على جانب من الجمال الفاتن فزللت ، وكنت أنت ثمرة زلتى .

ـ لقد صدقوا اذن فيما قالوا . ولكنى من هو أبى ؟

ـ أبوك

ـ نعم أبى !!

ـ ان أباك هو الذى إذا وجد في هذه البلاد لما كانت جمهوريتهم المتصدعة .

ـ افصحى عن قولك .

ـ لقد قامت الجمهورية عشية هرب أبوك وترك هذه البلاد .

اذن فابى . . . .

ـ الملك الطريد . كان قد اتخذ بيت جدك مباءة له فى الليل والنهار . فعلقنى وعلقته ، ثم تصورت انى سأصبح ملكة البلاد اذا ما أصبحت له زوجا . ولقد

جرى بيننا دافع الهيام بما لم أستطع دفعه ، وزين لى الشباب مايزين لامثالى .
فانت ابن الملك ، يجرى فى عروقك دم الملوك .

ـ دم الملوك يجرى في عروقي . ولكن دم الشرائع يريقه الملوك ، فيجرى رخيصاً ، لا لينقذشرف الساقطات ولا ليحمى حقوق الامم ؟

ـ مه يابنى . ان ساعة الرحيل قد آذنت فان قواى قد أخذت تضمحل وانفاسى تتردد ثقيلة واهية ـ اقترب منى ـ قبلة واحدة قبل الفراق .

وظل عقيل ينظر الى أمه نظرات زائغة حيرى وهوجامد فى مكانه لايتحرك .
وظلت يدا أمه ممتدتان اليه برهة ، ثم سقطتا ؛ وخيم عليها الموت بسكونه الرهيب .

ـ ٦ ـ

أمام الجثة الهامدة ركع عقيل يستغفر لامه عن ذنبها ويذكر أباه التائه الطريد . ولقد دارت بذهنه أنه ملكي يدافع عن الملكية ، وانه في بلاد يكاد يحطمها النظام الجمهورى ، وعاد الى ذهنه أن دم الملوك يجرى فى عروقه !!!!

ودفع الباب تاركا وراءه تلك الذكريات والآلام ؛ فانبسطت أمامه الارض واسعة ممهودة . إلى الملوكية يسير ؛ أم الى رحاب الارض يضرب فيها كما ضربه أبوه من قبل ؟ نعم . الى الرحاب الواسعة . الى الرحاب المترامية الاطراف .

وزم على جسمه فضل ردائه ، ثم أخذ يضرب فى الرحاب

ا . م

هبات الالهة

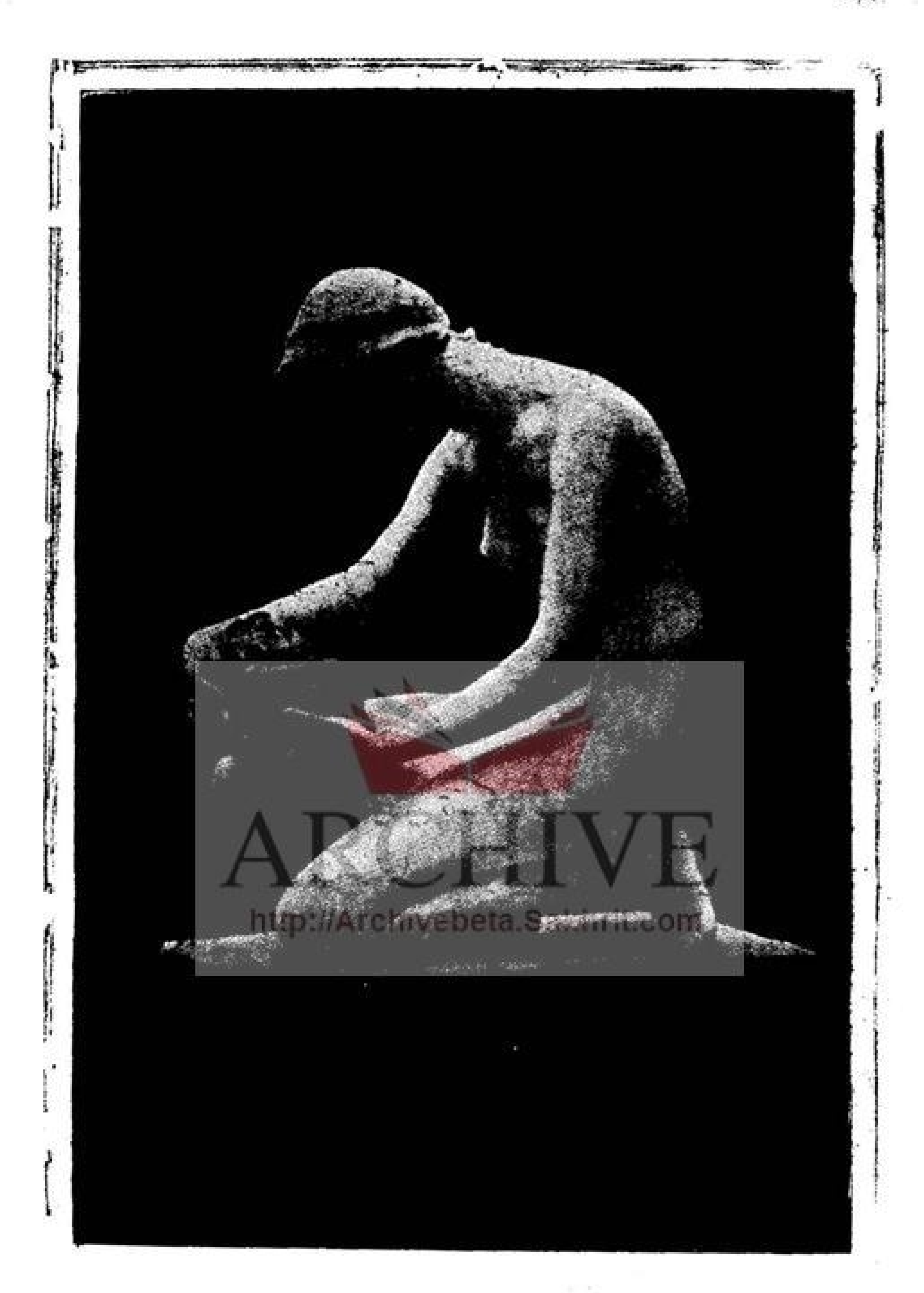
من أساطير روما واليونان

في الازمان القديمة ، قبل أن يقع الانسان على كثير من الحقائق التى يعرفها اليوم ، كان الاعتقاد ان الرجل قد عاش على مدى أزمان طويلة من غير أنيس فى الارض ، فلم يكن له زوجة ولا أخت . واعتاد الرجال بعض الاحيان ، اذا ما قامت بينهم المشاحنات أو جرى بينهم الشيطان بما يجرى به على أمثالهم الحمقى الخرقاء ، أو أصابتهم الآلام ونزلت بهم المصائب ، ان يخترعوا من اوهامهم أقاصيص يدعون فيها ان المرأة لم تهبط على الحضيض الا لتنزل بهم الكوارث فى الارض التى يعمرونها .

على أن بعض هذه الاقاصيص تذكرنا بامنا الاولى ، والقصة التى سوف تتلوها تتعلق بامرأة جميلة مثل حواء ، قد جلبت الشقاء لزوجها ، بجانب ما أنزلت بقلبه من المسرات

غير ان السبب فى هذا لا يرجع الى أغلاطها وحدها ، لان جوبتير قد أرسلها الى الارض لتفعل ما فعلت ، وكان غرضه الأول هو أن تنزل بالارض المصائب والآلام دون غيرها . اما هى فانها بجانب ما انزلت باهل الارض من مصائب ، قد حبتها بهبات ثمينة

كان جوبتير حانقاً على سكان الارض . وكان أحد الآلهة قد أخذته الشفقة عليهم لشدة ما يعانون من جهد ومتاعب ، فسرق لهم النار المقدسة من السماء وأهبطها الى أهل الارض ، فغضب لذلك جوبتير غضباً شديداً وأخذه الحقد واكلت صدره الغيرة ، فصمم على أن يهبهم هبة اخرى ، تظهر من جهة انها أكثر عائدة عليهم بالخير من الاولى ، ولكنها فى الوقت ذاته نقمة وغضب شديد



باندورا

ومن أجل ان يصل الى غرضه هذا دعى اليه « فولكان » وامره بان يجعل من الطين كهيأة امرأة تشابه فى جمالها واعتدال قوامها وسحرها وفتنتها الآلهات التى تسكن عرش الاولمب الاعلى . وكان « فولكان » فنان الآلهة وآله الفن ؛ فصاغ من الطين هيأة فتاة بزت فى جمالها التمثال الذي صنعته

« بجماليون » ونفثت فيه « فينوس » - آلهة الجمال - الحياة . وكذلك لم يقف بقية الآلهة والآلهات محايدين ازاء ما كان يعمل جو بتير . فقد اشترك كلهم في العمل ، منمقين في هيأة الفتاة ، فأضافوا من جمالهم الى جمالها ومن حسن ذوقهم الى صورتها فخرجت من يدهم صورة رائعة من الفن الالهي . وأخيراً نفخ فيها جو بتير من روحه فكانت امرأة ملئت حياة وقوة ، مطيعة لاوامر آلهها وخالقها جو بتير ، ووقفت بين يديه تتلقى اوامره القدسية

غير ان « فولكان » ولو أنه كان يفخر بجمال ما أخرج فنه من صورة لم يكتف بذلك . فانه كان من أمهر صياغ المعادن - وكان له كور عجيب ، يستطيع به أن يصيغ من صواعق جو بتير التي يرسلها الى الارض ، أومن أشياء أصغر منها حجماً ، قطعاً فنية رائعة الجمال . وعمد الى الفتاة يحليها بحلية لم يتوج بمثلها بشر من قبل .

ونفذ فكرته . فوضع على رأسها تاجاً ذهبياً صنع بمهارة ظهرت معها الصور التي نمق بها كأنها من الاحياء التي تتحرك وتكاد تبادرك بالكلام .

ولما تحقق جو بيتر أن مثل هذه الهدية لا يمكن أن ترفض أمر أن تدعى الفتاة « باندورا » pandora وأن تنقل كما هي الى قصر « ايبميثيوس »

ولم يكد جو بتير يصدر أوامره حتى نقلها « ميركيرى » — عطارد - مسارعا بها الى حيث صدرت ارادة الآله الاكبر ، ولا مرية في أن اغتباط « رابيميثيوس » بها كان أضعاف اغتباط الآلهة الذين اهبطوها اليه في مأواه الأرضي . وكانت النذر قد انذرت « ايبميثيوس » انه لا يقبل من هدية ترسلها اليه السماء ، لئلا تجر معها على أهل الارض المصائب والآلام . ولقد تذكر ما هبطت به عليه النذر . ولكنه فضل أن يعالج مصائب الارض وآلامها على أن يرفض « باندورا » رسول السعادة والسلام .

وعاشا معاً في رغد من العيش وخفض من الحياة ، في قصرهما المنيف القائم

تحت سماء بلاد الاغريق القديمة ، حتى لقد خيل الى « ابيميثيوس » أن ما تنبأت به النذر من الويلات لا يمكن أن يهبط على أهل الارض مرة ثانية . وتمكنت منه هذه الفكرة حتى انه كان يضحك مستهزءاً كلما أعيد عليه ذكرى ما أنذر به . غير أن الآلهة لا تنسى واجباتها ، ولا تنصرف عن اغراضها . فان جوبيتر أرسل الى قصر « باندورا » بهدية أخرى،هى عبارة عن « علبة » ثمينة حسنة الصنعة ، ونقش عليها تحذيراً ملخصه النهى عن فتحها قبل أن تأمر بذلك الآلهة .

ولعبت نشوة الحيرة برأس « باندورا » فرغبت في أن تفتح العلبة لترى ما فيها ، ولكنها حاولت مرات عديدة أن تنصرف عن غيها ، وان تطيع أوامر الآلهة وكانت تحب زوجها حباً جماً ؛ وكانت على استعداد لان تضحى كل دنياها على أن تكون سبباً فى ايذائه . على أن ارادة جوبتير كانت أقوى من إرادتها ، فلعبت في رأسها يوما نزوة الاستطلاع واستقوت على ارادتها ، وفى لحظة من لحظات النحس فتحت غطاء العلبة .

ماذا تمسك يا باندورا ؟ وما أشد الملك ! فانها لم تكد تفعل هذا حتى ملىء الفضاء امامها باشباح غريبة ، وكانت تعرف كثيراً منها معرفة صحيحة ، فخامت تحمل فى ايديها الأوبئة والامراض والكوارث على أنواعها . ولقد ملئت « باندورا » رعباً وخوفاً ، وأغلقت العلبة مرة ثانية باسرع مااستطاعت ولكن كل ما كانت تحويه قد فر إلى فضاء الأرض الأوسع ، ماعدى « روح الأمل » فانه ظل محبوساً في العلبة ، وكان جوبتير قد شاء أن يظل محبوساً حيث كان .

وحتى اليوم نجد أن الأمل كما قال الشعراء — « هو الصفة الابدية التى تشب في صدر الانسان » ـ فاخذ الانسان يجاهد في اخضاع المصائب والآلام لارادته بما تدرع به من شجاعة وصبر ، يحييهما الامل في صدره . ذلك الأمل الذى لم يفر من علبة « باندورا » التى اهبطتها عليها الآلهة،والذى احتفظت به سلوى لزوجها وللانسانية .

اصلاح الازهر

مذكرة الاستاذ الاكبر الشيخ المراغى شيخ الجامع الازهر

أوجب الدين الاسلامى على أهله أن تختص طائفة منهم بحمله وتبليغه الى الناس (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذ رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وأوجب الله على نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس إلى السبيل الموصلة اليه (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن) وقواعد العلماء كلها متفقة على وجوب السعى إلى نشر الدين واقناع العباد بصحته وعلى وجوب حمايته من نزعات الالحاد وشبه المضلين .

وفى الكتاب الكريم آيات كثيرة تحث على النظر فى الكون وعلى فهم مافيه من جمال ودقة صنع ، وقد لفت النظر إلى مافى العالم الشمسى من جمال باهر وصنع محكم ، ولفت النظر إلى مافي الحيوانات من غرائز تدفعها إلى الصنع الدقيق والاعمال التى لها غايات محدودة ، وأشار إلى سير الاولين . وحث القرآن على العلم وفاضل بين العلماء والجهال وأعمال السلف الصالح ، وسير العلماء لاتدع شبهة فى أن الدين الاسلامى يطالب من أهله السعى إلى معرفة كل شىء فى الحياة.

وقد تولى سلف علماء الأمة القيام بهذه المهمة على أحسن وجه وأكمله فخلفوا تلك الثروة العظيمة من المؤلفات فى جميع فروع العلم ، ودرسوا أصول المذاهب فى العالم ودرسوا الديانات ودرسوا الفلسفة على ما كان معروفا فى زمنهم ، وكتبوا المقالات فى الرد على الفرق ، وكانت للعقل عندهم حرمته وله حريته التامة فى البحث . وكان الاجتهاد غاية يسعى اليها كل مشتغل بالعلم متفرغ له .

ولكن العلماء فى القرون الاخيرة استكانوا إلى الراحة وظنوا أنه لامطمع لهم فى

الاجتهاد فاقفلوا أبوابه ورضوا بالتقليد وعكفوا على كتب لا يوجد فيها روح العلم وابتعدوا عن الناس فجهلوا الحياة وجهلهم الناس وجهلوا طرق التفكير الحديثة وطرق البحث الحديث وجهلوا ماجد فى الحياة من علم وما جد فيها من مذاهب وآراء فاعرض الناس عنهم ونقموا على الناس فلم يؤدوا الواجب الدينى الذى خصصوا أنفسهم له وأصبح الاسلام بلا حملة وبلا دعاة بالمعنى الذى يتطلبه الدين .

فى الدين الاسلامى عبادات وعقائد وأخلاق وفقه فى نظام الاسرة وفقه فى المعاملات ، مثل البيع والرهن وفقه فى الجنايات

وقد عرض الدين الاسلامى لغيره من الأديان وعرض لعقائد لم تكن لاهل الأديان ، وأشار إلى بعض الأمور الكونية فى النظام الشمسى والمواليد الثلاثة من جماد ونبات وحيوان .

وقد هوجم الاسلام اكثر من غيره من الديانات السابقة : هوجم من أتباع الاديان السابقة ، وهوجم من ناحية العلم ، وهوجم من أهل القانون .

لهذا كانت مهمة العلماء شاقة جدا تتطلب معلومات كثيرة . تتطلب معرفة المذاهب قديمها وحديثها ، ومعرفة مافى الاديان السابقة ومعرفة ماجد فى الحياة من معارف وآراء ، ومعرفة طرق البحث النظرى وطرق الاقناع وتتطلب فهم الاسلام نفسه من ينابيعه الأولى فهما صحيحاً ، وتتطلب معرفة اللغة وفنونها وآدابها وتتطلب معرفة التاريخ العام وتاريخ الاديان والمذاهب وتاريخ التشريع وأطواره وتتطلب العلم بقواعد الاجتماع .

والأمة المصرية أمة دينها الاسلام فيجب عليها وهى تجاهر بذلك أن ترقى تعليمه ليرقى حملته ويكونوا حفاظا ومرشدين يدعون الناس اليه

ولا يوجد دواء أنجع من الدين لاصلاح أخلاق الجماهير فان العامة تتلقى أحكام الدين والاخلاق الدينية بسهولة لا تحتاج الى اكثر من واعظ هادحسن الاسلوب يجذب الى

الفضيلة بعمله ويحسن بصره فى تصريف القول فى موضعه ولذلك كان الدعاة الى الفضيلة قديماوحديثا يلجؤون الى الاديان يتخذونها وسائل للاصلاح ، بل أن كل دعاة المذاهب السياسية وحملة السيوف لم يجدوا بداً من الرجوع الى الاديان وصبغ دعواتهم بها ، كل ذلك لان حياة المجتمعات لاتدين لنوع من أنواع الاصلاح الا اذا صبغ بصبغة دينية يكون قوامها الايمان .

والامة المصرية ، بل والامم الشرقية جمعاء ، تدهورت أخلاقها فضعفت لديها ملكات الصدق والوفاء بالوعد والشجاعة والصبر والاقدام والحزم وضبط النفس عن الشهوات ، وضعفت الروابط بين الجماعات فلم يعد الفرد يشعر بالآم الآخرين ومصائبهم . وقد أثرت الحياة الفردية فى حياة الجماعة أثرها الضار فانحطت منزلة الامم ورضيت من المكانة باصغر المنازل

وقد أرى ان الامة المصرية وهى تريد النهوض والمجد وتتطلع الى حياة سياسية راقية يجب عليها أن تتذكر دينها وتلتفت الى حملة ذلك الدين فتصلح وترقى تعليمهم وتضعهم فى المكانة اللائقة بالمرشدين ، والتى يجب أن يكون عليها حملة الدين . اما اهمال هـذه الناحية والسعى الى ترقية النواحى الاخرى من حياة الأمة فلا أرى أنه يوصـل الى الغرض المقصود فالخلق هو العمود الفقرى للامم لا يمكنها أن تنهض بغيره وأسهل طريق لتكوينه هو طريق الدين اذا صلح تعليمه وهذب دعاته

ولقد كان الازهر مصدر أشعة نور العلوم الدينية والعربية وغيرها الى البلاد الاسلامية وقد أصابه ما أصاب غيره في الشرق من خمول وضعة فيجب على الامة المصرية وهى تحمل راية الامم الاسلامية أن تنقى هذا المصباح (الازهر) من الاكدار وأن توجد له جهازاً قويا يستمد نوره منه على طريقة تتناسب مع ماجد فى العالم من أطوار فى العلم وفى التفكير وفي الحوار والتخاطب وفى طرق الاستدلال والبحث ، والدولة تنفق على الازهر قدراً عظيما من المال لا تستطيع أن تمنعه عنه

ولا تستطيع أيضاً أن تلغى الازهر وما يتبعه من معاهد لتوجد بدلها معاهد أخرى فالحاجة الى اصلاح الازهر واضحة لا تحتمل نزاعاً ولا جدلا

وانى أقرر مع الاسف أن كل المجهودات التى بذلت لاصلاح المعاهد منذ عشرين سنة لم تعد بفائدة تذكر في اصلاح التعليم وأقرر ان نتائج الازهر والمعاهد تؤلم كل غيور على أمته وعلى دينه . وقد صار من الحتم لحماية الدين لا لحماية الازهر أن يغير التعليم فى المعاهد وأن تكون الخطوة الى هذه جريئة يقصد بها وجه الله تعالى فلا يبالى بما تحدثه من ضجة وصريخ فقد قرنت كل الاصطلاحات العظيمة فى العالم بمثل هذه الضجة .

يجب أن يدرس القرآن دراسة جيدة ، وأن تدرس السنة دراسة جيدة وأن يفهما على وفق ما تتطلبه اللغة العربية فقهها وادابها من المعانى وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة وأن يبتعد فى تفسيرهما عن كل ما أظهر العلم بطلانه وعن كل مالا يتفق وقواعد اللغة العربية .

يجب أن تهذب العقائد والعبادات وتنقى مما جد فيها وابتدع وتهذب العادات الاسلامية بحيث تتفق والعقل وقواعد الاسلام الصحيحة.

يجب أن يدرس الفقه الاسلامى دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الادلة وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالاحكام المنصوص عنها فى الكتاب والسنة والاحكام المجمع عليها والنظر في الاحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصور والامكنة والعرف وأمزجة الامم المختلفة كما كان يفعل السلف من الفقهاء .

يجب أن تدرس الاديان ليقابل مافيها من عقائد وعبادات وأحكام بما هو موجود فى الدين الاسلامى ليظهر للناس يسره وقدسه وامتيازه عن غيره في مواطن الاختلاف ويجب أن يدرس تاريخ الاديان وفرقها وأسباب التفرق وتاريخ الفرق الاسلامية على الخصوص وأسباب خلافها

يجب أن تدرس أصول المذاهب في العـالم قديمها وحديثها وكل المسائل العلمية فى النظام الشمسى والمواليد الثلاثة مما يتوقف عليه فهم القران في الآيات التي أشارت الى ذلك .

يجب أن تدرس اللغة العربية دراسة جيدة كما درسها الاسلاف وأن يضاف الى هذه الدراسة دراسة أخرى على النحو الحديث في بحث اللغات وآدابها .

يجب أن توجد كتب قيمة فى جميع فروع العلوم الدينية واللغوية على طريقة التأليف الحديثة وأن تكون الدراسة جامعة بين الطرق القديمة (في عصور الاسلام الزاهرة) والطرق الحديثة المعروفة الآن عند علماء التربية وعلى الجملة يجب أن يحافظ على جوهر الدين وكل ماهو قطعى فيه محافظة تامة وأن تهذب الاساليب وويهذب كل ماحدث بالاجتهاد بحيث لايبقى منه الا ماهو صحيح من جهة الدليل كل ماهو موافق لمصلحة العباد .

يجب أن يفعل هذا لاعداد رجال الدين لان رسالة النبى صلى الله عليه وسلم عامة ودينه عام . ويجب أن يطبق بحيث يلائم العصور المختلفة والامكنة المختلفة وان لم يفعل هذا فانه يكون عرضة للنفور منه والابتعاد عنه كما فعلت بعض الامم الاسلامية وكما حصل في الامة المصرية نفسها اذ تركت الفقه الاسلامى لانها وجدته ، بحالته التى أوصله اليها العلماء غير ملائم، ولو أن الامة المصرية وجدت من الفقهاء من جارى أحوال الزمان وتبدل العرف والعادة وراعى الضروريات والحرج لما تركته الى غيره لانه يرتكن الى الدين الذى هو عزيز عليها

ولست أنسى أن هذه الدراسة التى اسلفت بيانها دراسة شاقة تحتاج الى مجهود عظيم وتحتاج الى رجال والى مال يكافأ به العاملون ، ولكن سمو المطلب يحملنا على تذليل كل عقبة تقف فى طريقه وتوجب علينا السخاء والبذل لاننا نريد اصلاح أعز شيء على نفوس الجماهير ونريد بهذا الاصلاح تقويم هذه الامة ونهوضها .

وليس من السهل أن يكلف شخص وحده بهذه الدراسة على اختلاف انواعها بل من الواجب ان يفكر في طريقة التقسيم وجعل الدراسة أقساما وأنواعا متميزة.

وبعد هذا أستطيع أن أضع اساساً اجمالياً للنظام الذى أبغى أن يكون عليه الازهر والمعاهد الدينية .

١ - يجب أن يقسم التعليم الدينى الى قسمين : قسم يحدد عدد تلاميذه وترتب درجات التعليم فيه وتبين لهم حقوقهم والغايات التى تراد منهم والاعمال التى تسند اليهم من أعمال الدولة ، وهذا هو القسم الذى سيكون موضع العناية ومكان الرجاء والامل : وقسم لا يحدد عدده ولا ترتب درجات التعليم فيه ولا يكون له شيء من الحقوق فى أعمال الدولة ، وانما الغاية من وجوده هى سد حاجة من يريد التفقه في دينه ومعرفة اللغة العربية ليخرج من الجهالة الى نور العلم ويقنع بالعلم نفسه . وتوضع لهذا القسم نظم لا يقصد منها اكثر من مراقبة الاخلاق ومن تعليم أفراده تعليما صحيحا بعيدا عن العقائد الفاسدة موصلا الى روح الدين موصلا الى خلق قويم والقسم الاول تجعل درجات التعليم فيه ثلاثا فيكون ثلاثة أقسام

١ — القسم الاولى مدته خمس سنوات
٢ — « الثانوى « « «
٣ — « العالى « « «

والتعليم فى الاثنين الاولى والثانوى يكون عاما على مثال التعليم فى المدارس الاميرية ويعلم فيهما كل ما يعلم فى المدارس الاميرية ما عدا اللغات ، وتعلم فيهما علوم الازهر الاصلية بالقدر المؤهل لدخول الاقسام العالية تعليما لا يكون قوامه حفظ الدروس وانما يكون قوامه فهم العلم والمران على البحث والتدليل وتربية الملكات . وقد يلاحظ أن المدة لا تحمل علوم الازهر وتعليم ما يدرس فى المدارس الاميرية ، ولكن هذه الملاحظة تزول اذا لوحظ أن الطالب فى المعاهد يؤخذ فى سن عالية عن سن التلميذ فى المدارس الاميرية ، ويغلب أن يكون

ألم بكثير من المعلومات فى المدارس الاولية ، وأن يكون حافظاً للقرآن فاستعداده وسنه يسمحان بان يحتمل هذا المقدار الذى يراد أن يعلمه . على ان الشروط التى توضع لقبول التلاميذ فى القسم الاولى كفيلة بابعاد من لا يقوى على احتمال هذه الدراسة ويقسم التعليم العالى لى ثلاثة أقسام :

١ ـ قسم اللغة العربية

٢ ـ قسم الفقه

٣ ـ قسم الارشاد والدعوة

ويجب ن يلاحظ انى حيث اعرض لهذه الاقسام وحيث أبين ما يدرس فيها فانى أضع رسما اجماليا قابلا للتهذيب واترك تفصيله الى أن يحين وقت التفصيل فتؤلف له لجان فنية

أما القسم الاول فتدرس فيه علوم اللغة من نحو وصرف ووضع وعلوم البلاغة وأدب اللغة العربية وتاريخ الآداب وعلم النفس والتربية ، ويعلم التلاميذ فيه بعض اللغات التى لها اتصال وثيق باللغة العربية ، ويدرس فيه الكتاب والسنة من حيث اتصال اللغة العربية بهما ومن حيث اتصالها بآدابها

وأما القسم الثانى فيدرس فيه الكتاب والسنة دراسة مفصلة ، و بخاصة من ناحية الاحكام الفقهية . ويدرس أصول الفقه وتقارن المذاهب الاسلامية بعضها ببعض مع عرض الادلة ، ومع التعرض للترجيح من جهة الدليل والعرف والعادة ومن جهة المصالح العامة وتقارن المذاهب الاسلامية بالقواعد العامة في أصول القوانين ويدرس تاريخ التشريع الاسلامى وما يلزم للقاضى والمحامى من نظم القضاء والادارة وقوانين المرافعات .

وأما القسم الثالث فيدرس فيه المنطق والتوحيد الاسلامى والاخلاق والفلسفة قديمها وحديثها وتاريخ الاديان والمذاهب مع مقارنتها بالدين الاسلامى ويدرس أدب اللغة والقرآن والسنة و بخاصة من ناحية طرق الهداية والارشاد .

بعد ذلك انتقل الى الغاية من هذا التعليم النظامى وسأجد نفسى مضطراً الى شيء من الاطالة فى القول :—

عند ما فكرت الحكومة المصرية في انشاء مدرسة دار العلوم لتخريج أساتذة اللغة العربية فى المدارس الاميرية كان العلماء فى الازهر لا يعنون الا بدراسة القواعد وفلسفتها دراسة نظرية بعيدة عن التطبيق ، وبدراسة الالفاظ وخدمة عبارات المؤلفين ولا يعنون بالغاية من اللغة ولا بخدمة اللغة نفسها !! يشهد بذلك أن أسلوب الكتب المؤلفة فى تلك الايام بعيد كل البعد عن اللغة ، ويشهد بذلك أن بعض كبار العلماء ممن شاهدناهم لم يكونوا يحسنون التعبير عن أغراضهم ولا يزال منهم بقية الى اليوم. وكان العلماء أيضاً لا يدرسون شيئاً من العلوم العامة كالتاريخ والحساب والهندسة وتقويم البلدان . وكانوا يحافظون على ما هم عليه أشد المحافظة ولا يرون الخير الا فيما هم فيه ، فلم تكن معلوماتهم العامة ولا طرائق تعليمهم مؤهلة لتوليهم تعليم النشء في المدارس الاميرية على النحو الحديث .

وعند ما فكرت الحكومة فى إنشاء مدرسة القضاء الشرعى كان الازهر على النحو الذى وصفته وكان فيه علماء يحرمون تقويم البلدان والتاريخ والحساب ، ويكتبون مقالات فى الجرائد ضد هذه العلوم وكان ولاة الامور يشكون من أن القضاة لا يعرفون الارقام ولا يعرفون طرق التوثيق ولا يعرفون من العلوم العامة ما يجب ان يعرفه شخص يتولى الحكم بين الناس . وقد بدل الله هذه الاحوال وأصبح قانون الازهر مشتملا على ضعفى العلوم التى كانت تدرس من قبل ، وأصبح يدرس فيه التاريخ الطبيعي وتدرس فيه الطبيعة والكيمياء ويدرس فيه الجبر والهندسة ، وقبل الازهر فى قسم تخصص القضاء الشرعى دروسا في وظائف الأعضاء ودروسا في التشريح . قبل الازهريون كل جديد وأعدوا أنفسهم له وزالت كل العقليات التى كانت قبل ولم يبق الا اصلاح طرق التعليم وايجاد المعلمين الأكفاء وتوزيع العلوم على الاقسام توزيعا صحيحا . واذا كانت هناك بقية

تعترض الجديد فلم يبق لها من الشأن ماتستطيع معه أن تكون عقبة فى طريق الاصلاح .

في الدولة الآن مدارس متعددة لنوع واحد من التعليم . فيها دار العلوم لتعليم اللغة ، وفيها الازهر وكل المعاهد لعلوم اللغة ، وفيها القضاء الشرعى للفقه ونظم القضاء ، وفيها الازهر للفقه ونظم القضاء . وفيها تجهيزية دار العلوم وفى الازهر اقسام تماثلها .

تنفق الدولة على هذه المدارس جميعها ومن الممكن أن تقتصد فى هذه النفقات ومن الممكن أن تضم هذه النفقات بعضها الى بعض وتوحد جهودها لتخرج امثلة أحسن من هذه الامثلة .

فى الدولة أشكال مختلفة من العلماء تخرجوا فى مدارس مختلفة يحسد بعضهم بعضا و ينقم بعضهم على بعض ، ولهذا أثره فى افساد الاخلاق

لم لايحملنا هذا كله على التفكير فى توحيد الجهود وتوحيد النفقات ونجعل قسم اللغة العربية لجميع مدارس الدولة والازهر . ونخصص فرقة من قسم الفقهاء لتحل محل مدرسة القضاء لتكون ينبوعا للقضاء والمحامين والمفتين وتلغى تجهيزية دار العلوم والقضاء ؟

أول مايعترضنا فى هذا ان مدرسة دار العلوم أنشئت للحاجة اليها وقد حققت الآمال فيها فاخرجت للدولة علماء أحيوا اللغة العربية وادابها بعد أن كادت تندرس وكأنها من أهم الاسباب لنشر تلك اللغة وتحبيبها الى الناس بينما الازهر ضعف التعليم فيه وأصبح محلا لشكوى الامة وشكوى أهله أنفسهم ، وليس من الحكمة بناء على الامال فى الازهر ان نميت مدرسة محققة الفائدة وكذلك الحال فى مدرسة القضاء .

ولكننا على الرغم من قوة هذه الحجة يمكننا التغلب عليها بمراعاة مايأتى :
قد كان الازهر منفصلا عن الحكومة فى الماضى انفصالا تاما فلم يكن له بها علاقة الا بمبلغ يسير من الرزنامه كان حقا له عليها ولم يكن للحكومة اشراف عليه

وقد تبدل الحال فصارت ميزانية الازهر الضخمة أكثرها من وزارة المالية وبعضها من وزارة الاوقاف ، وصار لرئيس الدولة حق الاشراف عليه وصار مسئولا عنه أمام البرلمان ، وأصبح من اليسير على الامة والحكومة أن تعرف فيم تنفق الاموال وبأى شيء تشتغل المعاهد وعلى أى نحو تسير.

ثم اندماج دار العلوم والقضاء سيفضى حتما الى ادخال أساتذة المدرستين فى الازهر والى وجود الصلة التامه بينهم وبين العلماء فهذه السلة التى من شأنها أن توجد تماس الافكار ستنتج نتائجها الحسنة فى احسان الدراسة وستكون هناك عناصر قوية من رجال التعليم فى مجالس الادارة والمجلس الاعلى ، وفى التفتيش على المعاهد . وعلى الجملة ستوجد كل الضمانات التى تطمئن النفوس الى أن المعاهد لا ترجع القهقرى .

هذا الذى قلته مضافا إلى توحيد التعليم وتوحيد النفقات وتجانس العلماء فى الدولة من شأنه أن يحملنا على المضى فى هذا الطريق .

وتختص مدرسة القضاء على نظامها الجديد بكلمة لا بد لى من التصريح بها: لست أرجو للقضاء الشرعى خيرا من هذه المدرسة على نظامها الجديد وقد كان نظامها منذ انشئت الى سنة ١٩٢٣ خيرا من هذا النظام الجديد .

ذلك لنا حتى اليوم. ليس لنا مراجع فى القضاء إلا تلك الكتب المؤلفة فى القرون الماضية وهى كتب معقدة لها طريقة خاصة في التأليف لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية. وانما يفهمها من مارسها ومرن على فهمها وعرف اصطلاح مؤلفيها . وأيضا فان العلوم الشرعية التى يحتاج اليها القاضى مشتبكة يستمد بعضها من بعض ، والاغنى للفقية عن تعرف علوم كثيرة ترتبط بالفقة . ونظام المدرسة الجديد قطع الصلة أو أضعفها بين تلاميذ مدرسة القضاء وبين الكتب القديمة . فالتلاميذ اللذين يتخرجون فى التجهيزية وينقلون الى مدرسة القضاء ليس لهم من المؤهلات ما يعدهم لتفهم تلك الكتب والى هضم تلك المعلومات التى وضعت لهم فى البرنامج .

واست أدافع الآن عن الكتب القديمة (بل وأرجو الله أن يمكننا من الاستغناء عنها باحسن منها) وانما ادافع عن الموجود الذى قضت الضرورة بوجوده فنحن في حاجة الى رسل بين القديم والحديث ، واولئك الرسل يجب أن نعلمهم القديم والحديث ليخرجوا للناس حديثا جيداً فلا بد لنا من علماء فيهم من القوة مايستطيعون بها فهم تلك الكتب القديمة ومعرفة تلك الطرائق القديمة، وفيهم من القوة مايستطيعون معه تصوير ذلك فى أسلوب حديث . ولذلك فانه يجب أن يراعى في النظام الجديد للازهر عدم اهمال طرقة الأصلية فى البحث وفهم الكتب .

أما المدرسة — على نظامها — منذ انشئت إلى سنة ١٩٢٣ فانها تستحق الثناء ولا أجد ماأعيبها به . ولكن أستطيع القول بان تعهد الأزهر والمعاهد بالرقابة وحسن الادارة يخرج للامة مثل علماء تلك المدرسة أو أحسن منهم.

وقد أشير فى تقرير لجنة أصلاح الأزهر سنة ١٩٢٣ الى شيء من المقارنة بين القضاة خريجى الازهر والقضاة خريجى المدرسة ، ويحسن الرجوع اليه لأنه يفيد فيما نحن بصدده .

وخلاصة ماأسلفته أن تندمج تجهيزية دار العلوم والقضاء ومدرسة دار العلوم فى المعاهد ، على أن توضع قواعد وقتية لهذه المدارس بالنسبة لتلاميذها الموجودين فيها الآن .

أما امتيازاتهم فهى كما يأتى : —

علماء اللغة العربية يكونون أساتذة في الازهر والمعاهد الدينية وفى جميع مدارس الحكومة ومجالس المديريات .

علماء الفقه يكونون أساتذة العلوم الشرعية فى الازهر والمعاهد الدينية وجميع مدارس الحكومة ، وعلماء فرقة القضاة يكونون قضاة ومحامين ومفتين وأساتذة أيضاً .

وعلماء الارشاد والدعوة يكونون أساتذة في الازهر والمعاهد ويكونون خطباء وأئمة ووعاظا ومرشدين.

أما شهادة القسم الاولى فليس لها شيء من الحقوق إلا تأهيل صاحبها لدخول القسم الثانوى وأما شهادة القسم الثانوى فتؤهل صاحبها للاقسام العالية وتؤهله لوظائف الكتابة فى المحاكم الشرعية والمعاهد الدينية .

وقد ينظر بعد في علاقة هذا القسم وبعض الاقسام العالية بالجامعة المصرية اذا اراد واحد من حاملى شهاداتها دخول الجامعة المصرية في بعض اقسامها :

وقد يصح أن يقال : لندع دار العلوم ومدرسة القضاء تمضيان فى طريقهما ولنصلح الازهر على هذا النحو الذى أشير اليه وليس هناك ضرر في وجود مدارس متعددة صالحة غير أن ما اشرت اليه بالنسبة لمدرسة القضاء يحملنا على عدم السكوت على نظامها الحاضر وما أشرت اليه بالنسبة الى الغاية العظيمة التى ننشدها من توحيد التعليم وتجانس العلماء ، ومن الفائدة التى تعود على المعاهد نفسها من ادخال العناصر القوية فى اللغة العربية وهم علماء دار العلوم إلى الازهر يجعلنا نفضل طريق التوحيد على طريق التعدد

وهناك أمر لا يصح الاغضاء عنه . ذلك أن وجود مدارس دار العلوم والقضاء وتجهيزية دار العلوم مؤثر فى الازهر والمعاهد من حيث الرغبة فيهما لان نتيجة الازهر (اذا لم يخرج قضاة ومحامين وعلماء اللغة العربية فى مدارس الحكومة) تقتصر فى اخراج علماء للمعاهد وخطباء للمساجد وهي نتيجة غير مرغبة ومن شأنها أن تجعل التعليم الدينى فى المعاهد مقصوراً على بعض الطبقات التى ليس لها فى الحياة آمال سامية وهذه الطبقات وحدها قد لا تؤمن على هذه الوديعة وديعة الخلق الدينى والثقافة الاسلامية . ومن الواجب أن لا يغيب عنا ونحن

نتقدم لتهذيب التعليم الدينى وتقويم أخلاق الامة أن نشجع الطبقات الراقية على الدخول فى هذه المعاهد لتقوم بما يطلب منها من العناية بالاخلاق

وأمر آخر وهو أن سلب الامتيازات القديمة التى كانت للازهر من تخريج القضاة والمحامين وعلماء اللغة العربية يؤثر أمام الرأى العام داخل الدولة المصرية وخارجها فى الاقطار الاخرى فى جامعة الازهر والمعاهد ، ومن واجب الدولة المصرية ان تحافظ على كرامة هذا المعهد القديم وأن ترد له مجده فانه واسطة اتصال وثيق بين الامة المصرية وغيرها من الامم . واذا أحسن استخدام هذه الواسطة عادت بفائدة أدبية ذات قيمة على الشعب المصرى .

ومتى تم تنظيم الازهر وأخذ مكانته فستعود له ثقة الامم الاسلامية وتطلب منه علماء مرشدين خصوصاً اذا علمت فيه اللغات التى يحتاج اليها المرشد اذا ذهب الى بلد من البلاد الاسلامية .

هـذا هو مجمل رأيى فى اصلاح المعاهد والتعليم الدينى قد أقدمه خاليا من التفاصيل حتى اذا ماصادف قبولا واتفق على النقط الاساسية فيه أمكن الشروع فى تأليف اللجان الفنية التى تبحث أجزاء المشروع وأمكن بعد ذلك أن نرجع الى القوانين لاصلاحها .

وقبل أن أختم كلمتى هـذه أشير الى أن من الممكن ايجاد كل الضمانات لحسن سـير التعليم فانك بتأليف مجالس الادارة ومجلس الازهر على وجـه تمثل فيه وزارة المعارف تمثيلا قويا وبان يكون قسم التفتيش على اللغـة العربية والعلوم الحديثة مشتملا على رجال يكون لوزارة المعارف رأى في اختيارهم ، بل ويمكن أيضاً أن يكون لوزارة المعارف مندوبون لحضور الامتحانات .

ولابد أيضاً من أن أصرح بان الازهر لاينبغى أن يعنى باخراج معلمين للمدارس الاولية ، وسننظر فى انهاء هذه الدراسة الخاصة بالتعليم الاولى .

كما أنه لابد لى أيضاً من الاشارة الى وجوب الغاء قانون التخصص فقد دلت

التجارب على عقم نتائجه ، ولذلك أسباب كثيرة قد يحسن عدم الافضاء بها وأيضاً فان النظام الذى أشرت اليه وهو نظام تقسيم الدراسة العالية سيضمن تخريج علماء لهم تفوق فى علوم الاقسام التى يدخلونها .

وأسأل الله أن يهيىء للازهر والمعاهد طريق الفلاح والنجاح فى ظل مولانا حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول وأن يوفق رجال دولته الى عمل الخير لهذه الطائفة وللامة المصرية جمعاء .



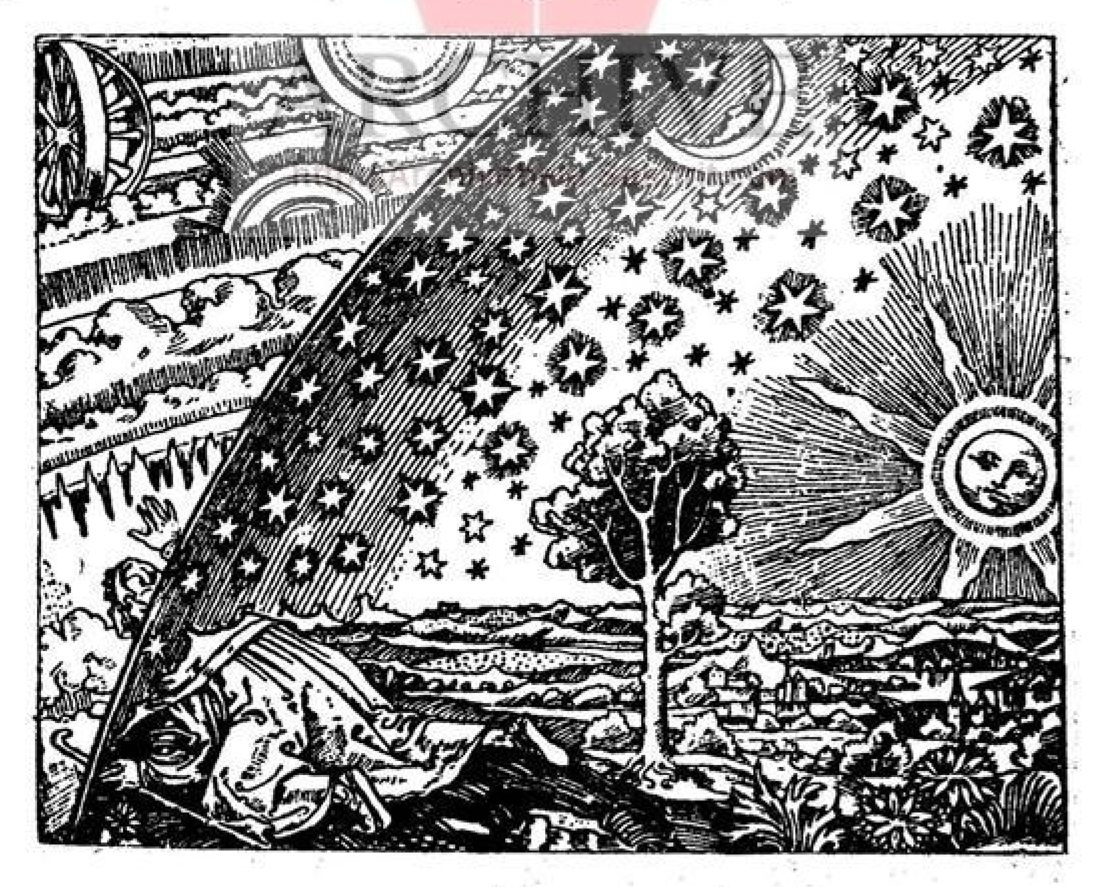
لمحة فى النظام الكونى

عظمة الكون وعظمة الانسان

***

١ — كوبر نيكوس والمعتقدات القديمة

اعتقد القدماء أن الأرض فى وسط النظام الكونى . ولم يقتصر اعتقادهم على انها فى وسط النظام الشمسى وحده ، بل فى وسط العالم الكونى في مجموعه . واعتقدوا بجانب هذا أن النجوم المضيئة سابحة فى فضاء الكرة الأرضية بل زعموا بانها رؤوس مسامير من الذهب الوهاج سمرت بها القبة الزرقاء لتثبت في مكانها . وكان أول من زعم هذا الزعم الفيلسوف انكسيمندر اليونانى منذ ٢٥٠٠ سنة مضين. على أن قليلا من مفكرى القدماء قد شكوا فى ماللارض من



ش (١)
الكون كما تصوره أهل القرون الوسطى

قيمة فى نظام الأشياء الكونية ، وقالوا بان النجوم عبارة عن عوالم كعالم الارض ، وتمتاز عنه بكبر الحجم وجلال القدر ، وانها تظهر صغيرة لبعدها الشاسع عنا . غير أن العقل الانسانى احتاج الى الف من السنين ليدرك ادراكا صحيحاً أن الأرض ليست فى وسط النظام الجرمى ، وإنها ليست كما كان يقول القدماء ، تاج الوجود ، وانها ثابتة ثبوتاً تاماً فى وسط الكون . غير أنه لم يتح لاحد غير نيقولا كوبرنيكوس أن يزحزح الأرض بقوة عقله عن مكانها الذى اختاره لها القدماء ، ووضعها فى مركزها الحقيقى كسيار صغير من جملة السيارات التى تدور حول الشمس ، بل جعلها نقطة او ذرة صغيرة ملقاة في صحراء الكون الشاسعة اللامتناهية ، كبقية الذرات التى تتكسر اضواؤها الضعيفة على شاطىء اللانهاية .

٢ حياة الاجرام .

اذا اعتبرت الارض ذرة في وسط الكون ، وجب أن يعتبر الانسان ذرة فوق الارض أما الذرة الصغيرة التى نسميها الانسان ، فعلى حقارتها قد استطاعت أن تدرك بقوتها العاقلة حقيقة النظام وأن تغزو اللانهاية بقوة الفكر . فقد عرف أن الاجرام السماوية التى تخيل أنها باقية بقاء الازل تولد وتهرم وتموت كما تذبل الزهور الغضة فى الحقول المتسعة المترامية ، وليس من يعيرها التفاتاً أو يأبه لها . وان للنجوم مولداً ومصرعاً ، كمولده ومصرعه .

زحل أشرف الكواكب داراً من لقاء الردى على ميعاد

وهذه الكلمة الخالدة التى قالها فيلسوفنا المعرى ، قد حققها الفلكيون بالمشاهدة فى العصور الحديثة .

غير أن عجلة الحياة الانسانية إذ تدور بسرعة فائقة على مقتضى قياس الزمان النسبى ، فانه لا يستطيع أن يرى الاجرام تولد وتموت لطول عمرها ، وقصر عمره . بل نقول إن الخيط الذى تحاك منه أعمار الاجرام يسير ، وذلك

بنسبة ما نرى من قياس الزمان ؛ في نول الطبيعة ببطء عظيم . وقد تمر ألوف من الاجيال قبل أن يلحق تغيير ضئيل باية بقعة من تلك البقع المضيئة التى ترصع السماء . غير اننا اذا استطعنا أن نغير مقياس الزمان تخيلا ، وقلبنا ملايين السنين الى ثوان من مقياس زماننا الحاضر ، استطعنا ان نرى الشموس العظيمة تولد بغتة كالحشرات التى تتوالد في مدى الليل ، ثم نراها تزداد ضياءاً حالا على حال ، ثم تأخذ فى الاظلام ثم تضمحل ، ثم تموت ، كما لو كنت ترى قبساً من نار فى ظلام الليل ، اشتعل ثم احترق ثم انطفأ . إن الاجرام انما تولد مثلنا ثم تموت كما نموت . أما أعمارها فملايين عديدة من السنين ؛ اذا قيست باعمارنا كانت بضعة عشرات من السنين لا غير . أما ملايين السنين والثوانى فشرع فى حكم اللانهاية ، كلاهما واحد ، ولا تفريق بينهما فى عرف الابد.

٣ ـ حركات الكوكبات

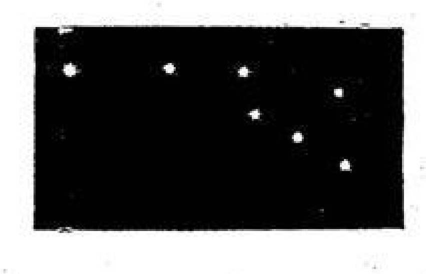
الامواج تتكسر على شاطىء اليم بلا انقطاع فى تواتر واطراد مرجعة ذلك الانين المتواصل على طول الأزمان . والواقع أن الناس تطلعوا بانظارهم الى الكواكب المتألقة فى السماء منذ آلاف عديدة من القرون كما نفعل الآن . ولقد ضاعت الآن آثار أجدادنا الذين وقفوا فوق الارض يتطلعون بانظارهم الى السماء . فنت تلك الآثار . فلا أغنية مشجية ، ولا صخور نحتت عليها آثارهم لنعرف أى احساس قام فى نفوسهم وهم ينظرون من فوق الارض الى العوالم الصامتة السابحة فوق رؤسهم وعن شمائلهم وأيمانهم . مضى هؤلاء فى سبيل كل شيء ؛ ولاتزال الكواكب تتألق فى السماء كما كانت تتألق فوق رؤسهم ؛ بل نراها ثابتة فى أماكنها التى شغلتها فى زمان أجدادنا الاولين. فالدب الاكبر لا يزال فى شكله الاول ، وفي نظام كواكبه كما كان منذ أزمان طويلة . والتنين Dragon لايزال ينشر سلسلة نجومه ، والنسر الواقع Vega لايزال يرسل أشعته الزرقاء الجميلة الينا ، كما كان يرسلها اليهم . ظلت هذه الكوكبات ترسل أشعتها الصامة فوق

رؤوس البشر منذ أن سكن الانسان الكهوف في العصر الحجري ، ومن فوق رمسيس العظيم وجيشه الاكبر الذي وجهه الى محاربة أهل سوريا في الازمان القديمة . وتطلع اليها كولمبوس في سواد الليل وهو تائه في بحر الظلمات ينشد أرض المعاد :

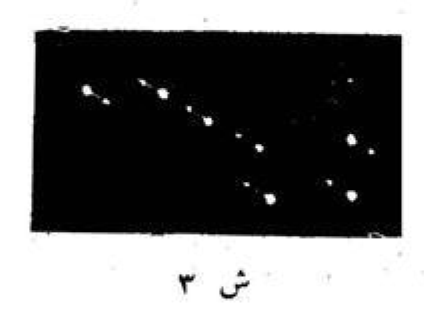
معصوب المقلة والدرب وعر وكثير الآفات
كسفين ليس لها رب تجرى في بحر الظلمات

ورآها نابليون وناجاها وهو راجع من حربه الروسية مكسوراً ، وتطلع اليها نانسن من فوق جبال الجليد القطبية .

ومع كل هذا فالحقيقة أن هذه الكواكب تندفع كالسهم سائرة فى الفضاء بسرعة عظيمة . وأن النجوم التى تلوح لنا كأنها مجاميع — كوكبات — انما يفصل بين بعضها و بعض فضاء شاسع ومسافات عظيمة القدر ، وان تجمعها الظاهر لعياننا انما هو مصادفة تقع لانظارنا فى نهاية الرؤية البعيدة . ولقد اقنعتنا القياسات الدقيقة بان بعض النجوم تنهب الفضاء بسرعة عدة الآف من الاميال فى الثانية وان نجوم بعض الكوكبات قد تبتعد أو تقترب بعضها من بعض ، وان كوكبات برمتها قد اندفعت نجومها فى فضاء اللانهاية بسرعة كبيرة .

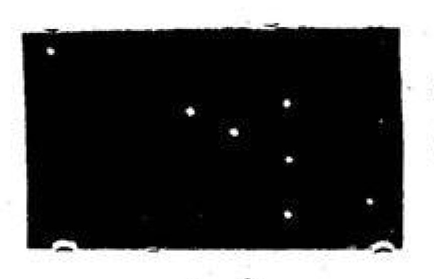


ش ٢



ش ٣

الدب الاكبر ش (٢) كما كان من ١٠٠٠٠ سنة ش (٣) كما هو الآن ش (٤) كما سيكون بعد ١٠٠٠٠ سنة .



ش ٤

وهذا التغير ولو انه يقع بسرعة فائقة ، فان الكوكبات تظهر لنا الآن كما كانت تظهر لاسلافنا وكما لو كانت النجوم التي تكونها ثابتة من اماكنها الاصلية لا تتحرك .

اذا نظرت الى قطار سريع يمر على مقربة منك ، فانك تراه يمر سريعاً حتى يتعذر على نظرك أن يتبع حركته السريعة ، ولكنك اذا نظرت اليه من بعد كبير خيل اليك أنه يزحف على الارض زحفاً . وكذلك الحال في الكواكب . فانها لبعدها الشاسع الكبير ، تلوح ، على الرغم من سرعة حركتها ، كأنها ثابتة في اماكنها الأصلية لا تتحرك ، فنرى من الأرض وكأن كل كوكب منها يحتاج الى عشرات الالوف من السنين ليقطع من الفضاء مسافة لا تتجاوز عرض كرة القمر كما يرى في تمامه من الأرض .

غير اننا اذا استطعنا أن نختزل المسافات الكونية الى بوصات ، وأن نختزل العصور المتطاولة الى ثوان ، امكننا أن نرى الكواكب الكبيرة ترقص في الفضاء ، كما ترقص ذات الهباء صعوداً وهبوطاً في خيط من خيوط الشمس يخترق نافذة ما .

٤ — صغر الكرة الأرضية

اذا اردت أن تتصور صغر الكرة الارضية ، فاعلم أن جرم الشمس يسع ٠٠٠ ر ٢٥٠ر ١ جرم كجرم الأرض . في حين ان رحاب الكون مملوءة بشموس اخرى غير شمسنا هذه ، نسبتها الى الكون كنسبة الذرات الطائرة في الفضاء الى حجرة متسعة الجنبات . وملايين من هذه الشموس العظيمة تكون تلك المنطقة البيضاء التي نسميها الطريق اللبنية — Milky Way. ملايين من الشموس ، ويحتمل أن يكون فيها ملايين الملايين من الكرات الأرضية التي تشابه أرضنا .

واذن نقول ما احقر هذه الأرض التعيسة التي اريق من أجل بقاع دنيئة منها أنهار من الدماء الزكية ، وزهقت في سبيلها ارواح مظلومة . ولو أن

الانسان كان قد استطاع أن يترك هذه الذرة الحقيرة السابحة فى فضاء اللانهاية



ش (٥)

Cygnns

جزء من الطريق اللبنية فى كوكبة الدجاجة

الى ذرة أخرى من ذرات الكون اذن لنقل اليها معه الحروب والخراب والدمار، وإذن لعمرها بسخافاته ودناآته التى خطها على صفحات تاريخه ، وإذن لاصبحت مبلعة للامراض ومكاناً للموت وصوره الكريهة .

غير أنه من حسن حظ الاكوان الصامتة العبيدة أن الانسان لم يجد جسراً

يعبر به اللانهاية الى طرف آخر من أطراف الكون ، ولولا شعاع ينقله الأثير في الفضاء الى الارض لما عرف الانسان أن فى الكون عوالم غير عالمة ، ولظل بعيداً عن الاتصال بالعوالم الأخرى ولو من طريق الفكر ، جاهداً نفسه فوق هذا السيار الذى نكب به ، والذى نسميه الارض.

٥ — بعد القمر والسيارات .

ماأقرب القمر من الأرض مقيساً بأبعاد الاجرام الاخرى ؟ انه أقرب « المحطات » الكونية من سيارنا الارضى . اما اذا اعتبرت المسافة الواقعة بين القمروالارض باعتبار فلكي ، لما استطعت أن تقول فيهاانها اكثر من «خطوة». اما هذه الخطوة الفلكية فمقدارها ٠٠٠ ر ٢٤٠ ميل .

ثلاثون كرة من الكرات العظمى فى حجم كرة الارض كافية اذا وضعت الواحدة بجانب الاخرى لان تكون جسراً نعبر عليه الى القمر ! ! وقطار سريع يحتاج الى ستة أشهر ليقطع المسافة الى مهبط وحى الشعر . اما أشارة لاسلكية فلا تحتاج لا كثر من ثانية الاقليلا لتصدم الجبال الصامتة التى تكسو وجه القمر. وعلى الرغم مما يفصلنا عن القمر من المسافات الطويلة، فان القمر ، فلكيا، يمكن أن يعد جزء من الارض فهو تابع مطيع لها ؛ أوهو بمثابة « جزيرة » سابحة فى أقرب فضاء للارض .

على أن المسافات تتسع وتزيد رويداً رويداً اذا نحن أردنا أن نزور اخوات الارض وأولاد عومتها من الكواكب التى ندعوها السيارات التى تدور كما تدور أرضنا حول الشمس ؛ وتجتمع من حولها كما تجتمع الافراخ حول الدجاجة الكبيرة

تهبط الشمس وتزل عن الافق ويخيم الظلام على الارض . ومع هذا ترى الزهرة Venus مضيئة براقة ، كقبس من نور المغنيسيوم يتألق فى كبد السماء . والزهرة أقرب السيارات من فلك الارض فى دورتها اذ تكون فى بعض

الاحيان على بعد ٢٥٫٠٠٠٫٠٠٠ ميل منا . ولكن ما أسهل ما نكتب هذه الارقام ، فى حين أنه يصعب علينا أن نتصور مقدار ما نعنى بها . تصور أن الزهرة تكون فى أقرب نقطة من الشمس عندما يكون بعدها عنا بمقدار ١٠٤ مرات مقدار بعد القمر ! ! سياحة يقطعها القطار السريع في ٥٢ سنة فقط ! أما كرة مدفع تخترق الفضاء بسرعة ١١٠٠ ياردة فى ثانيتين ؛ فانها تحتاج الى سنتين ونصف لتقطع هذه المسافة . اما اشارة لاسلكية فتحتاج الى دقيقتين وثلاثة ارباع الدقيقة ؛ لان الامواج الكهربائية تنتشر بسرعة ١٨٦٫٠٠٠ ميل فى الثانية .

على الرغم مما نرى في مكان الزهرة من بعد شاسع، فانها أقرب السيارات من الارض . أما الشمس فتبعد عنا أربعة أضعاف بعد الزهرة.!! ان الوصول اليها يحتاج الى قطار سريع يستمر ذاهباً الفضاء ١٩٠ سنة بلا توقف . أما كرة المدفع فتحتاج الى تسع سنوات ونصف فى حين أن الموجة الكهربائية تحتاج الى تسع دقائق وثلث دقيقة

وكذلك نستطيع أن نقول ان الشمس فى مكان من أقرب الامكنة الكونية الى الارض . فاننا مهما طفنا فى مجاهل النظام الشمسى فاننا لانزال في عشنا الكونى . فان المشترى Jnpiter يبعد عن الارض خمسة أضعاف وخمس بعد الارض عن الشمس . اما زحل saturn بحلقاته الجميلة وأقماره الثمانية فبعده عنا مضاعف بعد المشترى . فان المسافة التى تفصل بين الارض وزحل عندما يكون فى أقرب نقطة الى الارض لايقل عن ١٦٠٠ مليون ميل ! ! مسافة يقطعها قطار سريع في ٣٣٠٠ سنة بلا توقف . اما كرة المدفع فتحتاج ١٦٠ سنة ، كما ان الاشارة اللاسلكية تحتاج الى ساعتين ونصف لتصل بين الارض والسيار أورانوس .



ش ٦

نسبة السيارات للشمس

ومع كل هـذا ، فانك اذ وصلت الى أورانوس فانك لاتكون قد اجتزت منطقة النظام الشمسى . فمن وراء هذه الحدود فضاء متسع تجرى فيه المذنبات والنجوم الضالة حيث تسبح فى لانهاية من الخلاء . وكذلك يتنقل بنا الخيال الى ان نصل الى السيار نبتون ، وهو يبعد عن الشمس بمقدار ٢٧٨٨ مليون ميل . على ان أرضنا تكون قبل ان نصل الى هـذه الاعماق القصية قد اختفت عن الانظار فى جوف ذلك الفضاء . اما المسافة الكبيرة التى تفصلها عن الشمس فتلوح لراء من سطح نبتون كأنها بعض الخطوات القصيرة فى مقياس اللانهاية ، واماجرم الارض الذى يحمل ١٥٠٠ مليون من النسمات البشرية فيكون قد اختفى تحت ظل الاشعة القوية التى تبعثها الشمس فى الفضاء المحيط بها . اما اذا أردنا الرجوع الى الارض من سطح نبتون فاننا نحتاج الى ٥٧٠٠ سنة نقضيها في قطار سريع ، أو الى ٢٨٥ سنة ، اذا شئنا أن تحملنا كره مدتع ! ! اما الامواج الكهربائية التى

تقطع محيط الكرة الارضية سبع مرات فى ثانية واحدة ، فتحتاج الى أربع ساعات وكسر لتنقل رسالة من الارض الى نبتون .

اى شيء نستنتج من هذه الارقام ؟

أنها تبهرنا وتترك عقولنا عاجزة عن الفهم . ومع كل هذا فان هذه الارقام على عظمتها لاتخرجنا عن غشنا الكونى ، فانك حتى بعد ان تصل الى نبتون تكون فى حيز نظامنا الشمسى !

تأمل فى اللانهاية قليلا تعتقد أن الانسان حقير . فمابالك بنزعاته السفلى ؟

٦ — الشموس المجاورة لنا

اذا بلغنا نبتون ، كنا على تخوم النظام الشمسى . اما الكون ففيه من النظامات الشمسية عدد عظيم . فاذا حلقنا فى جو نبتون ، فاننا نيمم شطر تلك النجوم التى كانت تظهر لنا من الارض كأنها داخلة فى جوها . على اننا نحتاج الى زمان طويل حتى ندخل في منطقة نظام شمسى آخر غير نظام شمسنا . فان قليلا من النجوم تقرب من نظامنا الشمسى ، وهى التى يمكننا أن نقيس ابعادها بشيء من الدقة . واقرب هذه النجوم الينا كوكبة قنطوروس ، حيث تضيء براقة فى نصف القبة الجنوبى . وكوكبة قنطوروس هى اقرب الكوكبات الى الشمس غير انها تبعد عنها بمقدار ٩٠٠٠ ضعف بعد نبتون عن الشمس اما قطارنا السريع فيحتاج الى ٥٢ مليون سنة ليصل الى اقرب محطة من كوكبة قنطوروس . فى حين ان كرة المدفع تحتاج الى مليونى ونصف مليون سنة ، كما أن الشرارة الكهربائية لاتبلغ تلك الابعاد السحيقة الا فى اربع سنوات وكسر هو ٣ من عشرة لتقطع هذه المسافة التى تبلغ ٢٥ بليون ونصف ميل ! ! غير ان هذه الارقام لعظمها لاتنقل إلى اذهاننا فكرة ثابتة . اذن فلنجرب طريقة اخرى لنعرف مقدارها . فاننا اذا فرضنا أن المسافة التى تفصل بين الشمس والأرض لاتزيد عن بعد مابين عينينا فقط ، فان كوكبة قنطوروس على نفس هذه النسبة تكون بعيدة عنا بمقدار عشرة

الاميال او يزيد قليلا. ومع كل هذا فكوكبة قنطوروس هي أقرب جيراننا في اللانهاية

٧ — السنون النورية



ش ٧ — مجموع من النجوم في كوكبة قنطوروس

لقد اضطر الفلكيون اذ هم مرغمون على أن يعرفوا مقدار هذه الابعاد القصية، واذ وجدوا أن قياس المسافات بالارقام لا يسد حاجتهم، عمدوا الى طرق اخرى في قياس الابعاد. ولهذا رجعوا في قياس الثوابت الى حساب السنين النورية. فان قبساً من النور اذا اضاء في مكانه استطاع راء أن يراه في الوقت الذي يشتعل فيه، ولو كانت المسافة التي تفصل بينهما آلاف من الاميال. ذلك لان النور ينتشر في الفضاء بسرعة تلوح بجانبها المسافات الارضية كأنها لاشيء. اما سرعة انتشار الضوء فقد قيست على وجه الضبط، فكانت ٠٠٠ ر ١٨٦ في الثانية. ومعنى هذا أن النور يقطع محيط الارض عند خط الاستواء ثماني مرات في الثانية. وقد عرف أن سرعة انتشار الضوء مساوية تماما لسرعة التموجات الكهربائية. وعلى هذا نجد أن النور يحتاج الى ثانية وربع ليصل الينا من القمر، وثماني ثوان وثلث ليقطع المسافة التي تفصلنا عن الشمس. اما المسافة التي يستطيع النور قطعها في سنة فتدعى في علم الفلك سنة نورية. ولما كانت السنة عبارة عن ٠٠٠ ر ٥٣٦ ر ٣١ ثانية، ولما كان النور ينتشر بسرعة ٠٠٠ ر ١٨٦ ميل في الثانية، أذن فالسنة النورية عبارة عن مسافة كونية مقدارها ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٨٨٣ ر ٥ من الاميال

وهذا بعد يقطعه القطار السريع فى ٠٠٠ر٠٠٠ر١٢ سنة فقط ! !

٨ — أبعاد بعض النجوم

ان كوكبة قنطوروس وفيها أقرب الثوابت الى نظامنا الشمسى ، تبعد عنا أربع سنوات وثلاثة من عشرة من السنين النورية . ومع هذا فان النور الذى تبعثه لايصل النظام الشمسى الا بعد أربع سنوات ونصف من مقياس زماننا.

وهنالك ثوابت أخرى تبعد عنا بمقدار بعد كوكبة قنطوروس عشرة أضعاف ، لا بل مئة ضعف ! وهذه الاعتبارات نصل اليها من قياس اقدارها ونسبة حركتها . فان النجمة القطبية تبعد عنا ستين سنة نورية ؛ والعيوق Capella وهو النجم المشرق المضىء فى كوكبه «ممسكة الأعنة» — Auriga — يبعد بمقدار سبعين سنة نورية . وهنالك نجوم نكاد نراها بالعين المجردة وندعوها اصطلاحاً نجوم القدر السادس ، تبعد عنا بمقدار ٣٣٠ سنة نورية . اما نجوم القدر الثامن فتبعد عنا بمقدار ٧٨٠ سنة نورية . أما تلك النقط البيضاء الصغيرة التى تكون ماتسميه الطريق اللبنية — Milky Way — فيقدر بعدها عنا بما لايقل عن ٤٠٠٠ سنة نورية فقط !!

على أنه من العبث أن ندرك هذه الابعاد بان نضعها امامنا فى ارقام مادية . فان هذه العظمة لاتقدرها عقولنا المحدودة .

٩ — الطريق اللبنية.

أما وقد وصلنا الى نجوم المجرة — Galaxy — فلا يجدر بنا أن نغفل عن أننا قد وصلنا لتخوم عالم عظيم مشابه لنظامنا الشمسى ، وأن كان القياس من حيث الضخامة والقدر ، مع الفارق البعيد. انظر الى السماء فى ليلة صافية الاديم . فانك ترى الطريق اللبنية تمتد فى صورة عقد منحن من الشمال الى الجنوب ، مما يدلنا على أنها عبارة عن حلقة عظيمة القدر تتضمن مجاميع عظيمة من النجوم والكوكبات في منطقتها • وهذه المنطقة العظيمة التى تمنطق السماء تتكون من ملايين عديدة من النجوم ، وملايين عديدة من الشموس ، فى حدودها القصية

التى تقدر بما لايقل عن ٨٠٠٠ سنة نورية تعثر على شموس لاعداد لها ، تسع الواحدة منها شمسنا والارض وكل سيارات نظامنا هذا ، بما فيها المشترى وزحل اللذين نسميها جبارى النظام الشمسى .

ان الطريق اللبنية عبارة عن التخوم الاخيرة التى تقع فى حدود المسافة التى تحدها كل الكوكبات التى تتضمن ملايين عديدة من الانظمة الشمسية المشابهة لنظامنا . أما اذا استطعنا أن نطير في الفضاء نجوب جوانبه المتسعة ، وأمكننا أن نخرج من حدود الطريق اللبنية ، فاننا نجد أن هذا النظام برمته بما فيه الطريق اللبنية كأنه جزيرة كبيرة مضيئة ؛ وان شكلها يشابه حبة الحمص . حبة من الحمص تتضمن في جوفها مالا يقل عن ٣٠٠ مليون شمس يفصل بين كل واحدة وأخرى مسافات شاسعات الابعاد ، وفى مركز هذه الحمصة شمسنا ومن حولها تدور أرضنا وبقية السيارات .

على ان هنالك أسبابا حملت علماء الفلك على أن يعتقدوا بان الطريق اللبنة ليست بتابعة للنظام الجرمى الذى يلى نظامنا مباشرة بل عبارة عن منطقة محدودة أو حلقة تزدحم فيها النجوم أكثر مما تزدحم فى أى مكان آخر من بحر اللانهاية.

١٠ — ما بعد الطريق اللبنية.

ها نحن قد وصلنا الى بعد ٨٠٠٠ سنة نورية ؛ فهل وصلنا الى النهاية؟ كلا فانا على بعد ٨٠٠٠ سنة نورية من الارض لا نكون قد وصلنا الا الى جزء حقير من الكل العظيم فالارض بقمرها نظام وحدهما . وكذلك المشترى باقماره الاربعة، وزحل باقماره الثمانيه . وكذلك الشمس بسياراتها نظام وحدها . ثم الطريق اللبنية من بعد ذلك التى تتضمن كل هذه العوالم التى ذكرناها فانها تشغل كمية محدودة من المكان فى الفضاء ارضين وشموس وسيارات عديدة. فلماذا لا يكون هنالك عديد آخر من الطرق اللبنية أو المجرات الشبيهة بمجرتنا هذه ؟

ولقد أظهرتنا التلسكوبات على بعض بقع صغيرة بيضاء دعوناها السدم ؛ وكان قد ظن من قبل انها عوالم خارجة عن حدود المجرة . ولا يزال البعض يؤيد هذا الرأى . ولكن هذه النظرية لم تثبت ، والراجح أنها نظم فى طور التكوين داخل

حدود الكون الذى نعرفه . غير ان القياس والمشابهات تحملنا على الاعتقاد بوجود عوالم مشابهة لعالم الطريق اللبنية ولو لم تشاهدها أعيننا.

١١ ـ الانسان والكون

اذا كان هذا هو الكون ، فاى شيء يكون الانسان ؟

الانسان من الوجهة المادية من أحقر الاشياء التى يتضمنها الكون . اما من الوجهة العقلية فهو من أعظم ما أدت اليه سنن التطور من تاريخ الاكوان .

ش ٨ ـ سديم اهلياجى

يقول باسكال : « الانسان يعرف انه حقير ، وفى ذلك سر عظمته » . كذلك لا يغيب عنا بجانب ما يقول باسكل ان الانسان ومن فوقه هذه العوالم غير المحدودة ، فيه شيء يناظرها من حيث العظمة . فيه تلك « المحكمة » الداخلية ، محكمة الضمير . فانها بما تتضمن من شرائع الآداب العليا ، وبما لها من السلطة على الانسان اذا خضع لها ، تضارع فى نظرى كل هذه العوالم بما تتضمن من شموس وسيارات وسدم ومجرات .

الانقلاب الفكرى

حول الازهر واصلاحه

نشرنا فى هذا العدد مذكرة صاحب الفضيلة الشيخ المراغى برمتها ، لا لانها اقوم ماقرأنا لعالم دينى فى اصلاح الازهر ، ولا لانها قد صيغت في قالب من الحرية الفكرية جدير بكل تبجيل واحترام لاغير ، بل لان الازهر اذا اصلح على القواعد الاولية التى عبر عنها الاستاذ المراغى احسن تعبير وشرحها أحسن شرح ، بلغنا من الازهر تلك الامنية التى طالما تمنيناها للعلم وللدين فى ارض مصر ، محور العالم الاسلامى ، ومنبع التطور الحديث في الشرق العربى كله .

وما أعرف من سبب يصد الازهر عن التقدم والارتقاء ، بل وعن التفكير في أن يساير خطا الحركة الارتقائية التى اخذ كل الشعب المصرى يضرب فيها بقدم ثابت ، حتى قرأت هذا التقرير التاريخى ؛ فعلمت أن الازهر كانت تنقصه ، كما كان شأنه في كل عصره الحديث ، رأس مفكرة وضمير حر ؛ وعقل تدرب على فهم الحقائق على صورها الصحيحة ، ساير حركة التقدم العام الذى ضربت فيه مصر على أثر الامم الغربية ، وانه اذا وجد الشخص الذى نزود بهذه الصفات ، استطاع الازهر أن يجد التكأة التى يتكىء عليها ليخطوا الى الامام مسايراً بقية النظامات التى تقوم عليها مدنيتنا ؛ واستطاع على الاقل أن يخلص من المؤتمرات التى تعقد باسمه ، كمؤتمر الخلافة ، وهو بعيد عن أن يمد لهذه الحركات الاجنبية بيد ، أو يعضدها بميل أو شبه ميل ، لولا رؤوس ملئت بكل شىء الا بالعلم ، ونفوس عمرت بكل شىء الا بالايمان ، وكانت تحل محل الرأس التى تقوم على الازهر وعلى أهل الازهر ، لتحول بينه وبين مفاسد اهل العمائم الذين انحى عليهم الامام محمد عبده بكل لوم وهو على فراش الموت فقال

ولست أبالى أن يقال محمد ... ابل أم اكتظت عليه المآتم
ولكن ديناً قد اردت صلاحه ... احاذر أن تقضى عليه العمائم
فيارب ان قدرت رجعى قريبة ... الى عالم الأرواح وانفض خاتم
فبارك على الاسلام وارزقه مرشداً ... رشيداً يضىء النهج والليل قاتم

وهاهو النهج قد بدأ يستضىء ويستهدى بنفس المبادىء التى ذهب الامام ضحتيها ، وكان فقدان صيته وخدش كرامته بين الجامدين ، متدمة لفقدان حياته وصحته في سبيل الازهر وأهل الازهر .

ان النظام الذى تابع الازهر التزامه خلال كل عصوره منذ أن شيده القائد جوهر حتى أواخر القرن التاسع عشر ؛ أى منذ أن خطب فيه باسم الفاطميين لاول مرة إلى العصر الذى بدأ الاستاذ الامام يفكر وقليلا من صحبه الذين طوى بعضهم الموت ولا يزال بعضهم الى اليوم حياً يرزق فى اصلاحه ، لنظام فيه من البعد عن عقلية العصر الحاضر ، بقدر ما فى القول بأن الارض مركز النظام الكونى ، وبأن الانواع خلقت مستقلة ، وبأن زوايا المثلث تساوى أربع قوائم ، عن الحقيقة . ولئن كان فى الشام مؤتمر أعرج مثل مؤتمر الخلافة في جوف الازهر وتحت ظل الازهر وظل أساتيذه ذوى العمائم الضخمة ، والعقول الفارغة شيء من طيب النزعة أو حسن الاثر ؛ اذن فيكون فى الازهر على ماهو الآن أثر من حب الحق أو الاستقلال فى الرأى أو الاعتدال في الرغبات أو القصد في الغايات ولعمرك كيف تقول في الازهر وفى أهل الازهر وفى أساتيذ الازهر ، وأنت لا تقوم من حركة سياسية فى هذه البلاد الا وتتجه الانظار الى الازهر لترى ماذا يكون من اتجاهه ازاء تلك الحركة من طريق ادارة المعاهد الدينية ورءوس المعاهد الدينية ، ليعرفوا معرفة حقة من أين سوف تهب رياح الحوادث فى الغد القريب. أليس في هذا وحده دليل كاف على أن الازهر يحتاج الى الاصلاح ويحتاج قبل كل شيء الى الخروج من ميدان السياسة خروجا تاماً ليتفرغ أهله الى الدين

والدنيا ؟ أليس الازهر في احتياج إلى أن يتحرر أهله من التقاليد والاساطير ، بل ومن فاسد النزعات الانسانية ، ليكون مثابة للتقى ، ومهبطاً للورع ، ومباءة لقيام الليل والنهار ، ومنزلا لسجود العشى والاصائل ، لامركزاً للدعاية لمثل مؤتمر الخلافة وألعوبة الخلافة، ونزوة الخلافة ، بل وان شئت فقل أضحوكة الخلافة .

وما هى بأضحوكة . بل كانت جداً ، سار فيه الازهر ، استغفر الله بل أكبر عمائمه ، وراء زخرف الدنيا بما فيها من ولائم وكرائم ، وأكل وشرب وتكثير من الاموال والثمرات، لولا أن تداركنا والحمدلله صاحب الاسطول بأسطوله، وصاحب الطول بطوله ، فجعلها أضحوكة بعد أن كانت غمرة فتحت لنا فاها ؛ وفجوة من فجوات جهنم لم ينقذنا منها الا شيطان رجيم .

وانى مع هذا لاأظن أن صاحب الفضيلة الشيخ المراغى يستطيع أن ينفذ برنامجه الاصلاحى الكبير ومن حوله تلك العمائم التى اعتادت على أن يكون الازهر مباءة لقاذوراتهم ، يدخلونها اليه كما كنسها الفراشون وحملها عمال مصلحة الصحة الى مجارى القاهرة . بل أعتقد أن الازهر لن يتطهر الا اذاطهرت ادارته من أشباه الرجال الذين كاد الازهر ان يلبس على الدين بسعيهم أثواب الحداد ، ويقيم للهدى واليقين والايمان جنازة ترقص فيها عجائز القرى اللاتى تعبن من كثرة ماحمل أهلهم الى الازهر — وهو يعلم الله براء — من فطائر وسمن وأرز وثياب وأموال ، ماضاعت الا هدرا ولا ذهبت الاسدى ، وماخرج الازهر بها الا جهلا يتحرك بين القرى ، والا غواية تسير في الطرقات ، مالها في الدنيا من أثر ومالها على الدين من فضل ، الا تحايل المحرمات بفتاوى ماأنزل الله بها من سلطان ؛ وما عرفها الدين ولا أهل الدين ، فمن محللات لايعرفها الشرع الى زواج متعة ماهوالا السفاح والسفاح اهدى ، بل وياسيدى الاستاذ المراغى ، الى بيع غفرانات كما كان يفعل قساوسة الكنيسة فى القرون الوسطى .

ووالله لوأن محمداً كان قد قتل كما قتل الكثيرون من أصحابه ، أولوأنه صلب

كما صلب المسيح لبيعت قطرات دمه من خريجي الازهر على الطريقة التي يتخرجون بها من أيدي ذوي العمائم ، عربونا على دخول الجنة و بناء قصور لبناتها من فضة وذهب وأرضها من جوهر وسقوفها ممردة بالمرمر والزبرجد والفاروز . ألم يبع أهل الكنيسة دم المسيح على اعتبار ان قطرة واحدة من دمه كافية لتخليص العالم ، اذن فهم فى حل من بيع بقية القطرات لمن يريدها ليفوز بالجنة ويعبر اليها المطهر فى سلام ، بل وليكون منذ هلكه الى يوم مبعثه في مستوى أهل سيراف وملائكة الكروبيم ؟

ياصاحب الفضيلة : لقد نزف من دم الازهر تسعا وتسعين جزءا ولم يبق الا جزء واحد . وهو كاف على ماأدرى ليعيد الحياة الى هذا المعهد بل الى هذه الجامعة التي يجب ان يجمع التعليم فيها بين نفع الدنيا ونعيم الآخرة .فعليك بالمطهرات القوية لتقتل بها تلك الجراثيم التي لاتزال سابحة فى ذلك الجزء تحاول امتصاصه . صب عليها من المطهرات قدرا يقتلها سريعا وفز بجزء من دم الازهر تحيي به بقية الاعضاء التي ماتت وما تنتظر الا اللحد ثم قيامة الجنائز والنواح على مجد زال ودين كاد يدركه الزوال .

وما مثل دعاة الاصلاح من أهل الرياسة فى الازهر الا كمثل المعرى حيث يقول :

اذا قلت المحال رفعت صوتى وان قلت الصحيح أطلت همسى

أطل همسك ياصاحب الفضيلة ولا تعبأ بجراثيم ماعاشت الا بين بلاليص السمن والجبن وماتكاثرت الا بين الانات والآهات ترسلها الامهات الفقيرات والآباء التاعسين لا لشيء ياسيدى الا ليخرج لهم من الازهر بين ناجح نجيب يقرعين اهله بمحلل حرام ، أو بمحرم يحلله . وماذاك الا إزاء دريهمات يأنف السائل المتجول في الطرقات ان يمدلها يداً او يحسب اذا اخذها أن رأس ماله قد تكثر أو أن حاجته قد سدت . كل

هذا والازهر في ملكوت الله يسبح فى غفوة كأن الزمان ماتحرك من حوله وكأن الفلك مادار . أما اهله فلا تأخذهم عما تعلم ومالا تعلم وما أنت به اعلم ، سنة ولا نوم .

وبعد . فياصاحب الفضيلة : ففى الازهر نواة طيبة اقصتهم الاغراض عن أن يكون لهم فى الازهر كلمة تسمع او صوت يرفع . وما اعرفك عنهم فانت بهم منى اخبر . فخذ هؤلاء عدتك فى اصلاحك وفقك الله ورضى عنك وارضاك



فكرة السلام

نقد وتحليل

— ١ — تمهيد

لانريد أن نبحث مشكلة السلام من ناحية آثارها التى تترتب على نشر الوئام بين الامم .ولا نريد أن نذهب مع النظريات فى مذاهب لانستطيع أن نخلص منها بنتائج ثابتة . بل نريدأن نبحث مشكلة السلام من ناحية علاقتها بالسياسةالعامة ومطامع السياسيين من جهة ، ومن ناحية علاقتهابترقى الاساليب العلمية الحديثة من جهة اخرى .

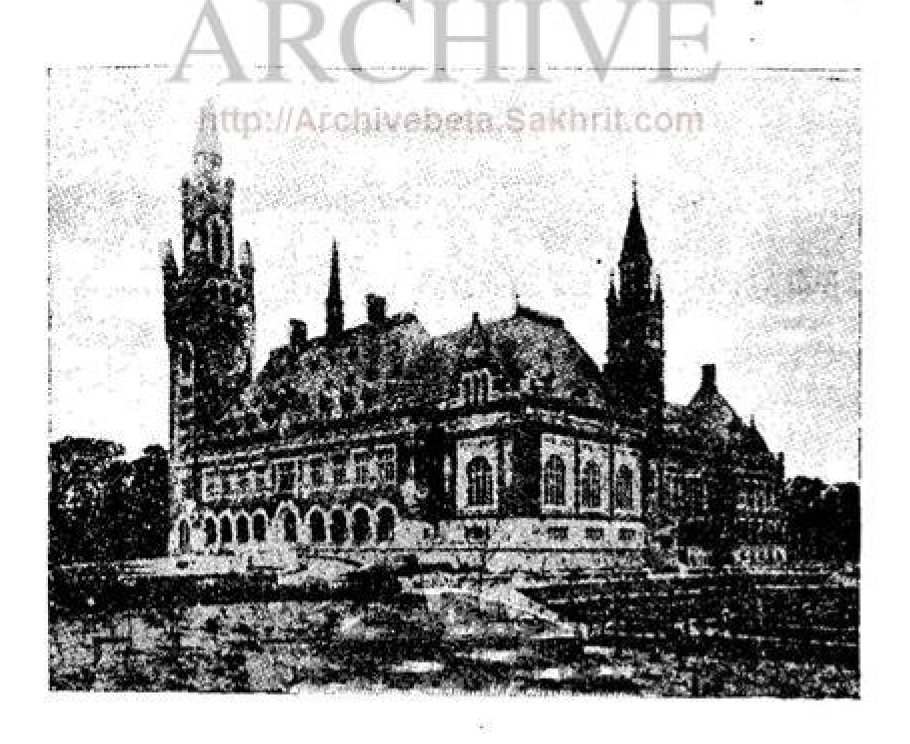
وقد يسأل سائل ماهي العلاقة بين السلاموالسياسةوالعلم ؟ والواقع ان تقدم الاستكشاف العلمى وتسود الانسان على قوى الطبيعة ووقوفه على الكثيرين اسرارها قد احدث انقلاباً فى الافكار كبيراً ، وتغييراً فى وجهة النظر الذى كان ينظر الناس من ناحيتها في الحياة الانسانية .فبعد أن كانت « الحريةالشخصية» حكمة القرن التاسع عشر ، وبعد أن كانت « الحرية والاخاء والمساواة » انجيل الثورات الانقلابيةفي العالم ، أنقلبت الفكرة فى هذه المبادىءانقلاباً الى النقيض واذا بنا نسمع الاستاذ « جوليان هكسلى » وهو من اكبر البيولوجيين ، يقول متى يقلع الناس عن سخافةالقول« بالحريةالشخصية » — واذا بفطاحل الاجتماعيين يقولون إن الحريةوالاخاء والمساواة ، ثلاث متناقضات لايمكن التوفيق بينها عمليا وأن بهرت الناس فى الاعتبار النظرى . فان الحرية تناقض المساواة ، والاخاء يناقض الحريه . هذا بعد أن ثبت للاجتماعيين أن الحياةمنافسة وجهادوان الكفايات الانسانية يجب أن تفوز بقدر مؤهلاتها الطبيعية فى الحياة .

ولم يكن لهذا الانقلاب الكبير من سبب اللهم الا تقدم العلم والاستكشاف

وعلى الاخص فى مجال العلوم البيولوجية وما تفرع منها مثل الوراثة واليوجينية وقوانين الصحة ؛ وما تعلق من هذه الابحاث الجديدة بالعلوم الاجتماعية كالاحصاء وشرائع الزواج والطلاق وتكوين الاسرة ومستقبل الامم من وجهة بيولوجية صرفة .

٢ — عصر جديد

ولا شبهة مطلقا فى أن هذه الاشياء فى مجموعها تؤثر فى السياسة العامة تأثيراً لا يظهر أثره الآن جليا فى تدبير حاجات الشعوب . فن عصر السياسى الانتهازى قد انقضى امده أوكاد ينقضى ، وكادت نبوءة أفلاطون الذى فاه بها منذ خمس وعشرين قرنا من الزمان تتحقق بحذافيرها فى هذا الزمان اذ قال بان الامم يجب ان يعهد بها فى أمر سياستها الى « الفلاسفة » . وماشغل الفلاسفة من مكانة فى العصور القديمة ، شغلها اليوم العلماء المجربون فى هذا العصر .



ش ١ قصر السلام فى لاهاى

ولقد شعر الناس بحاجة ماسة الى سياسيين من طراز جديد يعرفون أدواء الامم بطرق عملية ويأخذون في معالجتها باساليب قائمة على التجاريب العلمية

المحققة النتائج . لهذا قال الكثيرون من كتاب هذا العصر المعروفين إن فشل الديموقراطية ليس له سبب الا فشل السياسة الانتهازية التى اتبعها سياسيو القرن التاسع عشر وسار على أثرهم فيها سياسيو القرن العشرين .

٣ — أثر الصحافة

اذا كان سياسى العصر الحديث أشد الناس « انتهازية » أو « وصولية » كما يقولون، فان صحفى هذا العصر، أوعلى الاقل الاغلبية الساحقة من صحفييه، من أشد الفئات تطفلا على جسم الاجتماع . ذلك لان الصحافة أصبحت مرتزقا وأصبح الصحفى أجيراً . وبذلك خرجت الصحافة عن دائرتها الاصلية دائرة الارشاد والنصح وتوجيه الجماهير فى سبيل الخير الى وسيلة للكسب المادى كأنها متجر من المتاجر تتخذ فيه نزعات الجماهير سبيلا لنيل الاغراض المادية . فان الصحفى فى هـذا العصر سواء أفى السياسة أم الآداب، لا يحتاج ليصل الى النجاح الى شىء أكثر من أن يعرف كيف تسير الحوادث وكيف ينتفع بسلطة المسلطين بملقهم، ثم يساير اتجاه الجماهير يعضده بالقول وفارغ الكلام لتدر عليه رضوانها من جاه ومال .

على ان للسياسة الانتهازية أثر فى تخريج هذا الضرب من الصحفيين السياسيين. اما القائمون على امر التعليم فمسؤلون عن تخريج ضرب آخر من الصحفيين الذين يدعون زوراً انهم يحترمون الأدب اذ يعكفون على اشياء تقوم على ما تحب الجماهير أن يكون مذهبة للوقت وقتلا للآداب العاقة . وبهذا تعيش الصحافة متطفلة على الجماهير، فلا ترشدها، ولكن لتضلها ثم تستنزف دمها .

لهذا نشعر بنقص كبير في القوانين العامة . فان القانون العام انما يوجه كل همه الى صيانة الفرد وحقوق الفرد. أما المجتمع، اما الجماهير، فلاقانون يحميها من تطفل الصحافة ومن انتهازية السياسيين .

٤ — انتهازية السياسى وتطفل الصحفى

اجتمعت هاتان القوتان الكبيرتان وتعاضدتا لتقوم احداهما على كتف الاخرى . ولاعمل لهاتين القوتين في العصر الحاضر الا تدبير الحروب وسفك الدماء وهضم حقوق الامم .

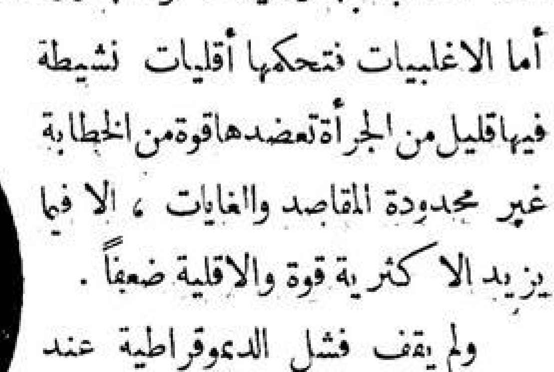
ولاجرم أن الصحافة قوة لا يستهان بها ، ولها في الاجماع من الاثر البالغ مالا يقاس به اثر الجامعات المشيدة او النظم الاجتماعيه التى قامت مع الانسان منذ ابعد عصوره حتى اليوم لهذا كان اثرها في توجيه الجماهير بالغاً وعلى الاخص فى الازمان التى تقع فيها الازمات السياسية والحروب . وما عليك الا أن تتصور الى اى حد يبلغ اثر الصحافة المتطفلة على انفعال الجماهير يعضدها سياسيون انتهازيون لا يهمهم من شيء اللهم الا أن يكونوا فى الحكم وأن يكون لهم جاه الانتصار عند النصر وكرامة الانهزام « بشرف » عند الهزيمة .

٥ — فشل الديموقراطية

اذا كانت الديموقراطية والنظام الذى قام عليها من تكوين البرلمانيات المنتخبة بطريقة التصويت العام ، دواء الداء الحكم الفردى والاستبداد الملكى ، فانها ولا شك قد فشلت فشلا تاماً ، وعلى الأخص فى الامم اللاتينية . فان الاقليات مهما بلغت نسبتها من الضخامة ؛ حتى ولا بلغت خمسين الا ربعا في المائة ، استبد بها وأهينت كرامتها و رفضت مشروعاتها ولو كانت لخير الامة .

أما الاغلبيات فتحكمها أقليات نشيطة فيها قليل من الجرأة تعضدها قوة من الخطابة غير محدودة المقاصد والغايات ، الا فيما يزيد الاكثرية قوة والاقلية ضعفاً .

ولم يقف فشل الديموقراطية عند هذا الحد ، فان الشعوب قد تبدلت من ملك واحد بملوك عديدة تؤثر فى ادارة



ش (٢)
لورد فنلى العضو البريطانى فى محكمة السلم الدولية بلاهاى

البلاد تاثيراً سداه الاغراض الشخصية وحيازه اكبر قسط من المنفعة بالسلطة المستمدة من صفة النيابة .وهي صفة كبر شأنها في الامم اللاتينية وامم البحر الابيض المتوسط عامة حتى لقد تعطلت الحياة النيابية بالفعل في كثير من هذه الامم . اذن لم تنجح الديموقراطية البرلمانية في تخفيف الويلات التي كانت تعانيها الامم في الازمان الاولى . بل زادت اليها خطر الانبعاث في حروب اهلية ، كما كاد يحدث في ايطاليا عند الانقلاب الفاشستى ، وكما حدث بالفعل في روسيا عند الانقلاب الشيوعى .

على أن هناك فارقاً بين نظام الاستبداد الفردى والنظام الديموقراطى . وينحصر هذا الفرق في أن الاستبداد الفردى كان يواجه الشعوب بقوة الجند والسلاح باعتبار أن حق الملكية موروث أو بالفتح أو أنه من عند الله !! أما النظام الديمقراطى فمن شأنه أن يجعل أحزاب الاغلبية ، اذ هي تحاول المحافظة على سلطتها في مجالس النيابة ، تعمل جهد ماتستطيع أن تملق الجماهير بالوعود الخلابة وبالختل حيناً والموار بة حيناً آخر ، بل وبالرشوة في غالب الامر . لهذا تشعر الامم في ظل الديموقراطيات أنها تحكم ، في حين أنها لدى الواقع تكون محكومة بقليل من الافراد الذين لاهم لهم الا أن يجمعوا من حولهم كل الظروف التي يخيل معها الى الامم أنها حرة ، وأنها تحكم بالفعل وأنها مصدر السلطات .

اذن ففشل الديمقراطية في هذا العصر راجع الى صفات اجتماعية أولها انتهازية السياسيين وثانيها تطفل الصحفيين على جسم الجماعات . وهذه أشياء من شأن العلم أن يبحث لها عن علاج كما يبحث العلماء عن علاج الامراض الخبيثة .

٦ — فشل الدكتاتورية السياسية



ش ٣
دكتور لودار رئيس محكمة العدل الدولية سنة ١٩٢١

وكذلك الحال اذا رجعت الى الدكتاتورية السياسية فانها فشلت ولا شبهة فى أن تسوى من ناحية الحرية السياسية بين طبقات الامم . فان معنى الدكتاتورية هي الحكم المطلق . فاذا استندت الى أكثرية كما هى الحال فى ايطاليا ، ظلت الحياة النيابية قائمة فى الظاهر ، معطلة في الواقع . فالدكتاتور ، وهو رئيس الاغلبية ، يكون لدى الواقع الحاكم المطلق ، ومجالس النيابة اداة تدمغ قراراتها بالقوة التشريعية . وهنا تموت الاقلية وتفنى تحت ظل الاستبداد المطلق الذى لاتعيش الدكتاتورية الافى ظلاله . اما اذا استندت الدكتاتورية الى أقلية ، كما هى الحال في روسيا ، تعطلت الحياة الديموقراطية فى الظاهر وبالفعل ، وقبضت الاقلية على زمام الجماهير بقوة السلاح ، وهنا تموت الاكثرية وتخضع لحكم أقلية تريد أن تفرض على النظام الاجتماعى مبادىء لم يألفها ونظامات لم يبلغ اليها بحكم الحاجة اليها ، بل بحكم التصور القائم فى رؤوس بعض الافراد .

٧ — هل تنجح الدكتاتورية العلمية ؟

لاجرم أن التنبؤ بنجاح الدكتاتورية العلمية فى هذا العصر أمر سابق لاوانه . وان كانت كل الدلائل تتجه بنا نحو الاعتقاد بان الدكتاتورية العلمية هى التى سوف تنقذ العالم من شر الحروب والثورات وتقيم النظام الاجتماعى على قواعد ثابتة .



ش ٤
القاضى جون مور العضو الامريكى
فى محكمة العدل الدولية

لقد تقدم العلم خلال خمسة العقود الفارطة تقدما محسوساً حتى لقد بدأ يتدخل بسلطته الغالبة فى كل مايقوم فى الاجتماع من المظاهر التى كان يخيل الينا انها ثابتة ثبات السرمد والابد ؛ وأن التغير لن ينتابها ؛ وان التبديل ليس له بحلها من سلطان . فقوانين الزواج والنسل التى كان يظن انها من أخص مايتمتع به الانسان من مظاهر الحرية الفردية أخذت اليوم تخضع شيئا فشيئا لمباحث العلم ولاثر العلم . وقس على ذلك بقية الاشياء التى يحتاج اليها الانسان من ملبس وغذاء وشراب بل وكل ماتحتاج اليه المدنية في الضرورات الاولية . عامة ذا خطع للعلم فى العصر الحديث .

ولا يفوتنا بجانب هذا أن العلم قد احدث باستكشافاته الكثيرة فكرة سلبية حملت الجماعات على أن تفكر فى أن السلام وسيلة تؤدى الى حفظ الذات ضد المهلكات الحربية التى أدى اليها العلم . لهذا نقول بان فكرة السلام بين الامم كان السبب فيها نزعة أو غريزة حفظ الذات ضد مهلكات تكتسح الالوف لا الافراد في طرفة عين ؛ فاتخذت وسيلة يتقى بها الهلاك ؛ لاغاية سعى الانسان اليها مأخوذا بجلال مافيها من سمو الفكرة أو الجمال .

وهذه النظرية ، بل هذه الحقيقة وحدها ؛ كافية لان تقنعنا بان المستقبل سوف يكون لدكتاتورية العلم ، تقوم على الجماعات ، وصية تستهدى بقواعد ثابتة في تصريف الحالات التى يتطلبها وجود الانسان في حياة اجتماعية . ولاجرم ان

انتصار الدكتاتورية العلمية سوف يكون آخر عهد الناس بالسياسي الانتهازي والصحفي المتطفل ، اللذين هما أول من يسألا عن الحروب وعن الثورات التي تكادتزلزل قواعد المدنية .

والحقيقة ان السياسي في العصر الحاضر أحوج مايكون إلى علم البيولوجي والوراثة والاحصاء وما يجري مجراها من العلوم التي بدونها لايفقه للنظام الاجتماعي من معنى ولا يعرف كيف يصرف الازمات التي تشب في عصر المدنية الحديثة كما تشب الطفيليات ، فجاءة وبلا انذار ، فاذا لم يبادرها المفالحون بالمعول والفأس قتلت الغرس الاصلي وقضت عليه .

ولا شبهة مطلقاً في ان العالم الاجتماعي برمته يجتاز الآن عصر انتقال سوف يتقشع غباره عن نظام جديد يقوم على انقاض كثير من النظم التي سوف تتهدم وتبيد . ولكن الظن الغالب أن سياسي العصر الحاضر وصحفيه أو بالاحرى انتهازي السياسية ومتطفل الصحافة ، سيكونان أول ما يبيد من مظاهر العصر الاجتماعية .

٨ — فكرة السلام .

الفكرة التي تقوم في العصر الحاضر في رؤوس السياسيين فكرة غير قويمة ؛ فان السلام يتخذ عندهم وسيلة لحفظ الذات ودفع المهلكات الحديثة عن الامم . اما فكرة السلام لتكون ثابتة فواجب أن تقوم في الرؤوس على أنها غاية لاوسيلة. أما هذه الفكرة فلا تقوم في الرؤوس ويكون لها أثرها الثابت إلا في ظلال الدكتاتورية العلمية .

والمحصل من كل هذا اننا اليوم في جو اضطراب وفوضى ، وفي عصر انتقال سوف تصفى فيه النظم الاجتماعية من كثير مما يغشاها اليوم من المفسدات . اما أظهر مفاسد هذا العصر فالسياسي الانتهازي والصحفي المتطفل . وكلاهما

مرهون وجوده على قيام الدكتاتورية العلمية لتحل محل هذه النظم الخرقاء التى أدت وسوف تؤدى الى الحروب العامة والثورات .

السلام غاية لا وسيلة . فاذا اتخذ اليوم وسيلة تتقى بها متكشفات العلم الحديث ، فليس لنا أن نغتبط وان نتعجل حوادث هذا الدهر ؛ ولكن المستقبل للعلم ، لا بين جدران المعامل كما هو شأنه الآن ؛ بل فى السياسة العالمية والنظام الاجتماعى .

***

نموذج جديد

من رباعيات الخيام

لهلاكنا تجرى السماء وما لها   الا اغتيال نفوسنا فى مقصد
اجلس بزاهى الروض وارتشف الطلا   فالروض ينبت من ثرانا فى غد

***

ضم جسم الزجاج روحاً تحاكي   ياسميناً يحيط في ارجوان
لا لعمري فالجام جامد ماء   ضم فى القلب سائل النيران

***

ثوب قدسى خلعته فوق دن   وتيممت في ثرى الحان حزما
فعسانى التى لدى الحان عمراً   ضاع منى بين المدارس قدما

***

لا عيش لى بسوى صافى المدام ولا   أطيق حملا بغير الراح للجسد
ما أروح السكر والساقى يناولنى   كأساً وتعجز عن أخذ الكؤوس يدي

***

اجعلوا قوتى الطلا وأحيلوا   كهرباء الخدود للياقوت
واذا مت فاجعلوا الراح غسلي   ومن الكرم فاصنعوا تابوتى

سيد احمد الصافى النجفى

النقد والتأليف

السفور والحجاب

للآنسة نظيره زين الدين

ترحب هذه المجلة بنفثات يراع السيدات على وجه خاص . تقول هذا بالرغم من اننا نقسو دائما على المؤلفين ونفعل هذا ونحن مطمئنون بأنهم يأولون قسوتنا الى رغبتنا فى اظهار مواقع الضعف فيما يكتبونه عساهم يتلافونها فيما بعد . وبما انى اتبع الرأى القائل بعدم وجود فارق بين أفراد الجنسين يجب أن اشعر السيدات بان من الواجب عليهن تحمل النقد ، مثلهم في ذلك مثل الرجال . وقد بسطنا رأياً عن كتاب ماري زياده حاولنا ان نتناسى فيه انا نكتب عن سيدة « فان المطالب بالحقوق مطالب بالواجبات ايضاً وانا آمل ان تكون ماري قد حملته على خير محمل . وهذا ما أطالب نظيره زين الدين الآن به أيضاً

السفور والحجاب ليس كتاب علمي بل صيحة ألم نتجت عن تهجم الحجابيين على السيدات السافرات فى دمشق . واظن هذا هو الداعي لوضعه فى صورة محاضرات . وبالطبع اهتمت المؤلفة قبل كل شيء ان تجتذب القراء لصفها تارة عن طريق الاثبات وتارة عن طريق العواطف وتارة . . . ايضاً . . . عن طريق . . . المغالطة

والمطلع على الكتاب يلاحظ انه كتب باندفاع لا عن روية وليس هذا يطعن في مادته لانها جيدة ولو ان فيها خروج كبير عن الموضوع وكثير من الحشو والتكرار تلك الامور التى تلازم دائما الاندفاع ابداً . فنظيره زين الدين قد القت ذاتها في بحر هائج من العواطف لم تلبث حتى تلاعبت بها

وفى الكتاب اسئلة اجابت عليها الآنسة اجابات استفهامية اى بدلا من ان تجيب انقلبت سائلة وقد تهربت فى عدة مواقف عن الاجابة والتجأت الى مواقع الضعف فى الرجل . كذلك لاحظت انها اذا واجهت حديثاً مضاداً لرأيها (وما أكثر احاديثها) زاغت من طريقه واكثرت من التكلم عن الاحاديث المفتعلة واذا وجدت أية عقبة فى سبيلها حولت وجهها صوب العلماء الاعلام وصبت على رؤوسهم جام غضبها لانهم جامدون ولانهم ولانهم . لا تغضبوا يا أصحاب الفضيلة فان مناظرتكم صاحبة فضيلة ايضاً والا لما ملأت ربع كتابها بآيات قرآنية وربعه باحاديث واما الربع الثالث باقتباسات اغلبها عن السلف الصالح ؟ فهلا يحق لى والحالة هذه أن أخلع فعليها حلة العلم مع لقب العالمة العلامة والبحر الفهامة صاحبة الفضيلة نظيره زين الدين.وفى الكتاب اجزاء كتبت بروية يخيل لى كأن كاتبتها مشترعة ومن السهل العثور على هذه الاجزاء من « قواعد فقهية » و « بناء عليه » الخ.وأحسن انموذج لذلك هو افتتاحية القسم الثالث من الكتاب

وكان هم نظيره قد اتجه قبل كل شىء الى اقناع رصفائها علماء الشرع فكانت لهم من بضاعتهم حتى انها لم تنس ان تتكلم عن ذي القرنين والسدين الذين بناهما وقد تذكرت وانا اقرأ هذا البحث كتاب « الكاف فى اثبات وجود جبل قاف »

سأجتهد الآن ان اقدم للقارىء زبدة كتاب الآنسة : —

بنى الدين الاسلامى على حرية الفكر والارادة والقول والعمل ولا مسيطر على المسلم فى امر دينه الا عقله وارادته ولا حجة بينه وبين الناس إنما الحجة بينه وبين الله . فاذا لم يسمح الله لنبيه بان يكون وكيلا او حفيظاً على عباده فكيف يجعل الانسان من نفسه على العباد وكيلا وحفيظاً (٩)

بلى الشرق بظلمات اربع .ظلمة نقاب عن نسيج ،وآخر من جهل، وثالث من رياء والاخير من جمود.المرأة المسلمة،لا تطلب منك تحريرها فهي حرة

فى كتاب الله (١٤) رأت المرأة المسلمة كل رجعى او كل ذى هوى مسيطراً ووليا ً ووكيلا عليها . انه لم يفرق بين نسائه ونساء غيره.لان النقاب مشترك مانع من تفريقهن فعد كل رجل نفسه قواماً على النساء جميعاً ورأت المرأة كل الرجال قوامين عليها . يريد الدين كشف وجوهنا للهواء والنور مثلما يكشف سائر الناس وجوههم (١٥) ان ستر وجه المرأة ليس من شروط الاسلام ولا من اركانه وليس سفور الوجه من محرماته فشروط الاسلام اربعة العقل والبلوغ وعدم الاكراه والشهادتين وأركانه خمسة الشهادتان والصلاة والزكاة والصوم والحج واهم المحرمات هى الفحشاء والخمر والربا (١٨) فلم يذكر بينها الحجاب والسفور

يجب ان يوجه التأويل والاستحسان الى التيسير (١٩)وما الحكم فى الاهتمام بالحجاب اكثر من اهتمامهم باصول واركان الدين حتى انهم يهتمون بتحجب كافة النساء ولا يقتصرون على حجب نساءهم فاذا كان دعاة السفور لا يعتدون على المحجبات فهلا يجب على دعاة الحجاب ان يوقفوا تهجمهم على السافرات (٢٢)لم تخرق الآنسة النظام وتفر من سجن الحجاب بل هو والدها الذى عد سجنها منافياً لعدل الله وعدل الانسانية (٢٨) تأخرنا نتج عن استعبادنا للام (٣٢) الامة المشلول نصف اعضائها لا تستطيع ان تبارى وتستولى وتتفوق (٣٣) كلما تجد اقوالا لمفسرين تجد اخرى تخالفها وتناقضها (٣٧) معنى التحجب هو كره التبرج ووجوب التستر المانع له (٤١) اكثر علماء زماننا نقلوا كل مافيه بدع من التفسير والتعقد (٤٦) النساء ناقصات عقل ودين ؟ يا سادتى ليس من مصلحة الامة الاسلامية ولا من مقتضى شرفها ان يكون نصفها ناقص العقل والدين وليس من مصلحة الرجل ان يقال ان امه ناقصة وابنته ناقصة عقلا وديناً الخ (٥٧)

الدين يحرم الربا والرجل قد حلله وحرم المسكر وبيعه والرجل قد اباح ذلك فى قوانينه وحرم لحم الخنزير والرجل يضرب عليه الضرائب واوجب الحدود الشرعية،والقوانين قد الغتها.وحرم الصور والتماثيل والمتاحف ممتلئة

بها. الدين اباح الاسترقاق فحرمناه،فيا لتدين الرجل ويالغيرته على الدين ! انه كامل الدين يا سيدي الرجل . انك لا ترى ما فعلت وفعلت مروقا والحاداً ولكنك ترى الالحاد ان تتكمل المرأة ادباً ونوراً وعقلا (٦١) الله غطى وجه الرجل بالشعر الطويل والدين امر بابقاء ذلك الغطاء اما الرجل فقد ازاله وخلق الله وجه المراة مكشوفاً نقياً والدين امر بابقائه مكشوفاً جلياً اما الرجل فقد غطاه بالنقاب ليجعله خفياً فيجب اذن ان يعترف الرجل بانه ليس اكمل من المراة ديناً (٦٣) الا ترون ان المراة مع حرمانها تجاري الرجل رقياً في امور الحياة كلها.فكم من مكتشفات ومخترعات الخ يسابقن الرجال في ميدان العقول . رفعة روما تسببت عن الحرية وكذلك اليونان والاسلام وهكذا المراة اذا سلبها الرجل حريتها نراها في ظلام الجهل (٦٩) نطلب من الرجل ان يعترف بان المراة مثله عقلا ومنزلة (٧٢) الذكر اقوى جسما من الانثى ولكنها اصلح غريزة منه ولولا ذلك لما كلف الله انثى الطير بناء العش وتربية الصغار وحفظهم وكل ذلك من خصائص العقل فى حين ان الله لم يكلف الذكر الا جلب الغنى والتقاط القوت (٧٣) هل رايتم ياسادتى حيواناً فى الدنيا يعامل انثاه كما يعامل الرجل انثاه هل رايتم حيواناً وأد اولاده كما فعل الرجل (٧٩) يفتخر الرجل بانه كالنسر والمراة بين مخالبه كالحمامة ولعمري ان الحمامة خير للانسان من النسر (٨٠) لا يجب ان يتخذ عن شهادة المراة نصف شهادة الرجل دليلا على نقص عقلها فليس عدم الاعتماد على شهادة غير المسلم على المسلم دليل على نقص عقل ذلك الغير فالشهادة ليست اكثر من تكليف يتعب صاحبه ويحرجه فالله اراد ان يخفف عن المراة ذلك التكليف (٩٤) انك خلقت والمراة من روح واحدة فعلام تدعى انك اكمل منها فى الفطرة عقلا . يكلف الله المراة التكاليف الشرعية فى السنة التاسعة من عمرها ولا يكلفها للرجل الا فى السنة الثانية عشرة هذا اذا بلغ أفلا يدل ذلك على ان المراة يكمل عقلها قبل ان يكمل عقل الرجل ؟ (١٠٥)

اهل الحجاب لا يجاوزون عدة ملايين من الاسلام ولكن العالم الاسلامي في القرى وكل الامم الاخري اهل سفور . الامم السافرة امم راقية رقياً ليس للامم المتحجبة مثله (١٠٩) لا يجوز ان نسند التبذل الى اكثر من مليار ونصف من الناس اكثرهم ارقى منا ونحصر الشرف فينا ونحتكره لنفوسنا وما نحن الا عدة ملايين اكثرنا قاصر متأخر فى رقيه (١١١) الامم كالاشجار يسقط من ثمارها ماكان خبيثاً فاسداً فتتناوله الحشرات . فلا تعرف الشجرة مما يرى تحتها من ثمرات ساقطة (١١٣) اذا كان في الحجاب اشارة الى عجز المراة عن نيل حقوق بدونه ففيه اشارة اخري الى ان الرجل خائن سارق للاعراض (١١٧) كيف يستطيع الرجل ان يكون قواماً علي المراة وهو يحجب وجهها بحجاب يمنعه هو نفسه من معرفتها خارج بيتها . كيف يكون قواماً عليها وقد حرم عليه الدخول الى كل مكان تكون فيه اذا قيل له ان معها محجبات وقد يكون رجلا او حيات او افاعي تنفث سمها فى قلب امراته (١١٨) اي امراة لها شرف ترتكب الدنيئة وهى معروفة بشخصها ؟ اذن لماذا نمهد لها سبيل التنكر . ان خوف العار والفضيحة سبب من الاسباب التى تعصم من السقوط في الرذيلة فلماذا يحرم الرجل المراة من هذا العاصم ؟ (١٢٥)

انهم ان رأوا وجه امراتك عرفوا اى امراة هى فلا يحدث التباس بينها وبين السافلات من المحجبات فى اية الجماعتين يكمن الخطر فى قضاة الشرع والاشراف والادباء الذين تحجب نساءك عنهم او بين ظهرانى الخدم وساقة المركبات والباعة ؟ (١٢٧) لقد طالما حرمك تحجب الزائرات لذة الاجتماع بميالك في السهرات فتذهب لقتل الوقت الى اماكن لا خير فيها قال تعالى « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » (١٤٤) والآنسة لاتوافق على الرقص (١٤٩) هيئوا النساء منذ الصغر لاحتمال كوارث الدهر اذا نزلت بهن (١٥٤)

ثم تقول ان آيات الكتاب المتصلة بموضوع السفور والحجاب اربع اثنتان منهما خاصتان بنساء النبي والآخريان بنساء المسلمين . معنى (قرن)

مشتق من الوقار و (التبرج) هو التبختر ثم عرضت تفسير العلماء للآيات وقالت ان ما ذكر في الاوليتين لا ينطبق على غير نساء النبي مهما حاولنا تفسيرهما

هذا بعض من كل مما يحوى هذا الكتاب العظيم ونحث القراء على مطالعة اقوم كتاب اصدرته سيدة شرقية

ع ٠ ع

المرأة فى الاسلام

لحامد محمد الشيال

هذا الكتاب عبارة عن ثلاث محاضرات يتغزل المؤلف الفاضل فى مستهل محاضرته الاولى بشمائل المرأة ثم يعرف الحجاب بانه الستر عن غير المحارم من الرجال خشية الفتن وابتغاء تجنب الفساد ولا يعرف كيف يفرق بين « انصار السفور » ! و « دعاة المفسدة » ويقول ببطلان ادعاء هؤلاء القوم بان الحجاب انتقل الى العرب عن طريق التقاب ثم اتخذوه شعاراً دينياً ويستنتج بانه لقول باطل لا يقوم عليه دليل ثم يعترف بان نساء الاسلام لم يعرفن الحجاب بادىء ذى بدء ثم نزلت الآية « واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب » وقد أتى ببرهان يعزز رأيه هذا فقال « روى عن أم سلمة قالت كنت عند الرسول وعنده ميمونة بنت الحرث إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه بعد ما أمرنا بالحجاب اذ قال احتجبا منه فقلنا يارسول الله أليس أعمى لا يبصرنا قال افعميا أنتما الستما تبصرانه » ثم يقول انه يفهم من هذا الحديث ضرورة غض بصر المرأة عن الرجل كما يغض الرجل بصره عن المرأة وثانياً وجود الحجاب بين نساء الاسلام ثم سكت ولم يزد قائلا « وبين رجال المسلمين »، واعتقد أن هذا الاستنتاج ناقص فمادامت النساء يخفين وجوههن خوفا من أن يفتتن بهن الرجال فواجب منطقياً أن يخفى

الرجال وجوههم حتى لا تفتتن بهم النساء وهن ناقصات عقل ودين ويظهر أيضاً أن حجاب تلك الايام كان كثيفاً جداً لا تخرقه عينا المرأة وبالطبع يتعذر معه التنفس والمشى أيضاً فكيف أمكن للسيدات فى ذلك الوقت السير فى الطرقات ولم تكن معبدة خصوصاً فى أيام الزمهرير والقر .

ويسائلك إذا كنت تخلو بامرأة (وبالطبع يقصد الجميلة لا البشعة المنظر) فى حديقة يحوطها كما بها الورود والنرجس ماذا تحدثك به نفسك مهما كنت تقياً ورعا . ويظهر أن حضرته قد أغفل عمداً ذكر صفة الجمال لانه يعلم تمام العلم بانه ليس من لزوميات النساء وحدهن بل يوجد في الذكور من يتصف بهذه الصفة فهل يسمح لى أن أسائله مالذى تحدثك به نفسك مهما كنت ورعا تقياً اذا وجدت فى ذلك المكان مع صديق جميل المنظر ؟ بالطبع سيقيم الدنيا على ويقعدها ويصفنى باحط الاوصاف ولكن هذا هو الواقع ياصديقى اذا أردتنى ان أنسج على منوالك وأتناسى وجود شىء اسمه الشرف والترفع فاذا وجدا فلماذا تعدهما من خلال الرجل دون المرأة واذا لم يوجدا فلم تحصر الحجاب فى الجميل من الجنسين وهل تنكر ياسيدى ان عادة قوم لوط أكثر انتشاراً فى بلاد الحجاب من أى مكان آخر ؟

ثم يحاول أن يعتذر عن الريفيات السافرات فيقول بان الفقر قد دفعهن الى حياة لا يرتضونها فهل حقيقة لا ترتضى الريفيات بحياة السفور اللاتى يرتعن فيها ثم اريد ان ألقى كلمة فى اذنك هل صحيح ان الفساد أكثر انتشاراً بين الريفيات السافرات عما هو عليه بين ساكنات مكة والمدينة ولا أقول ساكنات المدن المصرية . سيدى ان الرجل السجين إذا منعت عنه الطعام لا يكون قد تعفف عنه بل بالعكس ففكره دائما به مشغول فالمتعفف هو الذى فى مقدوره مس الطعام ولكنه لا يفكر فيه اما قناعة او اقتناعا .

وهكذا يمضى المحاضر الفاضل فى مغالطاته الى نهاية الكتاب على طريقة علمائنا الاعلام فلا فائدة من تفنيدها يقول لان المجال لا يتسع لهذا . وانى اسديه نصيحة خالصة لوجه الله ان يقترض كتاب السفور والحجاب

لنظيره زين الدين فهي أقدر مني على اقناعه لانها تعمدت النحو على المنحى الذى نحاه وليس كلامي المعزز ببراهين علمية قائمة على نظريات علم النفس وعلم الجمال والمنطق والاجتماع الخ هذه الخرافات التى اقتبستها من الغرب بمقنع له لانني مهما حاولت لا أجد لما اقوله تربة خصبة في جمجمته . شكراً لك يا آنسة نظيره فقد عرفت حقيقة بأى لغة تتفاهمين مع طبقة الصالحين من دعاة الحجاب .

اللباب

للسيد جميل صدقي الزهاوي

ديوان أشعار مجموعة يقع في ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير

للسيد الزهاوي شاعر العراق ميزة يمتاز بها على كل شعراء هذا العصر وهذه الميزة تزدوج في الاسلوب وحرية الفكر . فهو في أسلوبه سهل ممتنع جلي تكاد تسيغ معانيه قبل ان تتم قراءة مقطوعاته الممتعة العميقة الفكرة . وهو في حريته الفكرية مثال لما يجب ان يحتذى الشعراء والكتاب . يتصدى في شعره للتعبير عما يقوم في نفسه من المعاني التى لا يجرأ على المصارحة بها الا فيلسوف مليء تجربة واثقلته السنون ، فهو في رأيه في الخلود والبعث والمادة والله والحياة والموت ، عنوان حي على تحرير الفكر من التقاليد والاساطير ومثل ناطق على ان الفكرة الصحيحة اذا تمكنت من النفس واستوعبتها العقلية الناضجة طاوعتها اللغة ولم تبخل عليها الاساليب بان تجرى معها حيثما جرت وتتبعها اينما سارت ، وفاضت لها المعاني تنصب كما ينصب الماء الزلال السائغ من منحدر صخري جلاه النمير على طول السنين والاعوام

والديوان الكبير بين يدى لا أدرى اية قطعة منها اختار وايها اتخل بها علي القارىء . فالديوان كله قطعة من الفن الرائع واللغة الحلوة الصافية من كدورة التكلف ، فائض بالمعاني الواسعة ، شامل لكل ما يرضى عقلية

الزمن الحديث . فاذا بحثت عن الطبيعة برزت لك من خلال سطوره فى حلة تجلوها الالفاظ الممتازة والاسلوب العذب . واذا بحثت عن الحياة صورت لك فى صورتها الحقيقية التى لن تجد الحياة الا مصبوبة فى قالبها . وما الحياة في نفس الشاعر الذي عرك الدهر وعركه الزمان الا متاعب نهايتها الموت ، وما الحى الا باذل من دمه ومن قوته ما لا يعود عليه بشىء الا الخسران فى دنياه . والواقع اننا لا ندرك من الوجود الا شيئين عامين ، هما الطبيعة والحياة ، وفيهما تنحصر كل المظاهر التى يكون الانسان منها مدنيته وعلمه ومعرفته وأدبه وفنه . وعلى هذين الشيئين تقع فى ديوان اللباب فاذا قرأته فانك انما تقرأ الطبيعة والحياة .

وللسيد الزهاوي رباعيات نسجها على منوال رباعيات الخيام فاذا ردت أن تقع على شيء يحقق لك ما ذهبنا اليه في هذه الكلمة فاقرأ له قوله :

جديثى اليوم فى القدم وفي الاكوان والعدم
وفى الازمان والابا د والاجرام والسدم .

* * *

سماء ذات ابراج وبحر رب امواج
وارض فوقها قد طا ل تأويبى وادلاجى

* * *

فضاء ما له امد يقل حياله العدد
وليس هناك من زمن فلا ازل ولا ابد

* * *

هناك جواهر تتحد هناك كهارب تحتشد
هناك قوي بها نحيا فلا روح ولا جسد

* * *

هى الاكوان لا يعـ لمها الا النحارير

واكثر علمهم عنها اساطير اساطير

* * *

ولولا دفع رب الناس بعض الناس بالبعض
لدالت دولة الانسا ن وزالت عن الارض

* * *

لقد كان الفتى منهم كما آباؤه كانوا
فقد قال بما قالوا وقد دان بما دانوا

* * *

انما الارض لنا وطن مشترك
فيه نحيا اجمعين وفيه نهلك

والديوان باجمعه على هذا النمط من سمو الفكرة وجلال الوضع وقوة التصوير

قبض الريح

لابراهيم عبد القادر المازنى

مجموعة مقالات ادبية فى ٢٢٢ صفحة من القطع الصغير عنى بنشره الاديب الياس افندى انطون الياس الناشر المعروف بمصر

الكتاب أدبي صرف تستجلي فيه قوة الاسلوب وحسن التعبير وسلالة السياق · اما قوة التفكير نخير ما يؤديه اسلوب ادبي صرف لا تقع فيه على أثر للتفكير على الاسلوب العلمى . نعم تقع فى الكتاب على اسلوب ولكن لا تقع على شيء من قوة التفكير

من الادباء كتاب لايخرجون من موضوعهم الذى يعكفون على درسه الا بجملة من النظريات او بنظرية يحاولون دائما ان يؤيدوها بالدليل والبرهان. نظرية ينتهى منها بفكرة او مذهب جديد او مبدأ يتخذ قاعدة فى درس لموضوع الذى يكب عليه . اما الاديب المازنى فليس من هذا في شيء

فهو اديب من الطابع الذي لا يعنى بالفكرة بقدر ما يعنى بالصياغة . وما اصدقه اذ يقول

« وكل بما عنده يجود . ! زرعت حبي في ارض صفوان ، وهذا حصادي . وقبضت الريح من كل تعبي تحت الشمس ، وهانذا أؤديها الى القاريء واطلقها عليه كما تلقيتها لو يقنع المدل ! وقد خرجت ، كما سيخرج القارىء ، ولما سنخرج جميعاً من هذه الدنيا ، وليس فى يدى شىء »

ومن ذا الذى خرج من الدنيا وفى يده شىء . ولكن كثيرين خرجوا منها ومن ورائهم للانسانية تراث لا تهد اركانه الايام

والحقيقة ان الاستاذ المازنى قد نبغ في صرف الاسماء على مسمياتها . واذا أردت ان تثبت هذه النظرية فحاول ان تقرأ « قبض الريح » فتكون كانك تقبض على الريح . ولكنك اذا قرأت حصاد الهشيم ، فانك حقيقة تحصد هشيما الا في موضع واحد هو حيث تكلم في ابن الرومى ، فالحقيقة انه لم يحصد فى ذلك هشيما بل حصد ثمراً طيباً ممتعاً

اما ملاحظاتى الكثيرة على الكتاب فالخص للقارىء منها ما يأتى :

١ — يشبه الكاتب نفسه بالماجور او القربة (ص ١١)

٢ — يكتب دون وعى (ص ١٢)

٣ — يحاول ان يكون خفيف الروح ولكنه يخفق اخفاقاً شنيعاً (ص١٣)

٤ — تخبطات . افكار غير منظمة (ص ١٣)

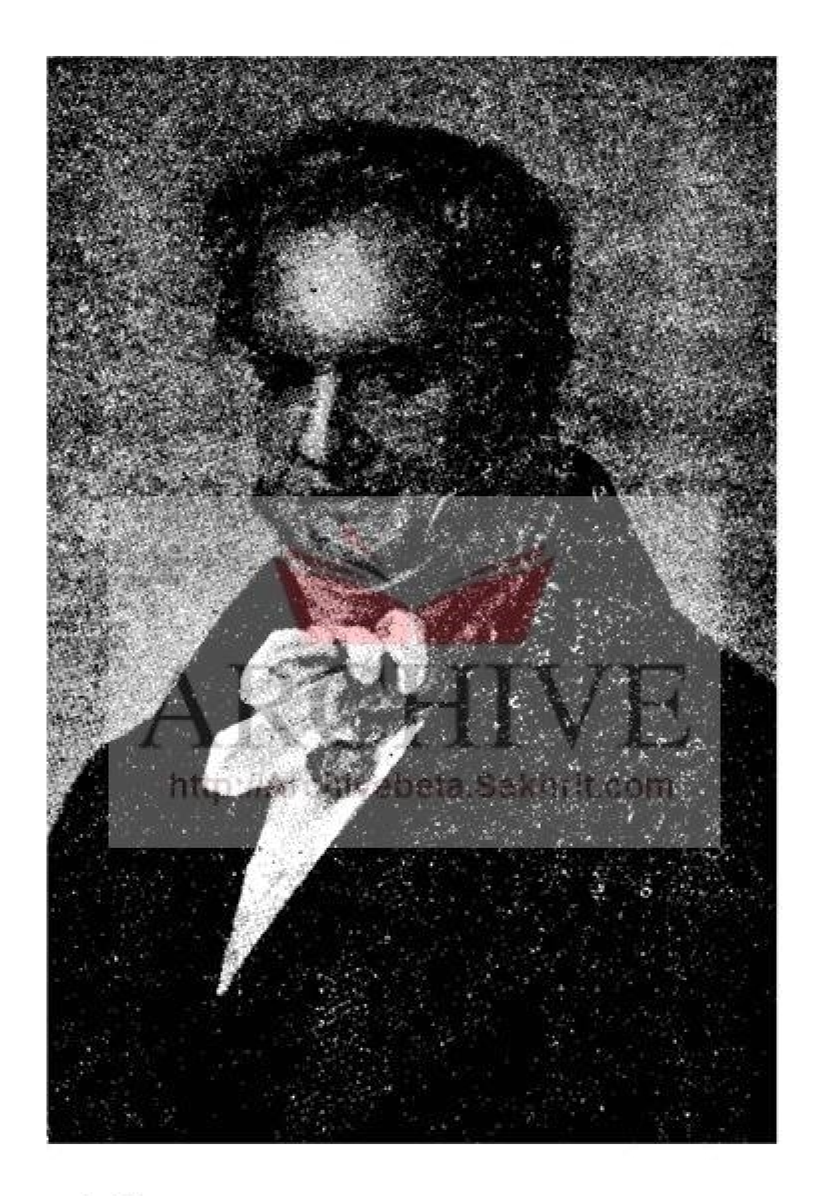
٥ — يكثر من غليظ القول (ص ١٤)

٦ — ملأ خمس صفحات ونصف قبل ان يحاول (على زعمه) نقد اسلوب طه حسين (ص ٣٥)

هذه بعض ملاحظات . غير انى ارى ان الاديب الذى يكتب على طريقة المازنى لا يستغنى عن هذه الاشياء . فهى ضرورية ليكون من طابع المازنى . غير انى ارى ان الكاتب قد يستطيع ان يستغنى عنها ، ولا ينتقص من ادبه شىء ما

اسكندر فون همبولد

humboldt , Friederich heinrich Alexander Von,



البارون فون همبولد (١٧٦٩ — ١٨٥٩) ولد بعد أن كتب العلامة الالمانى المعروف كاسبار فردريك وولف مقاله المعروف من الاجنة بعشر سنوات ومات فى السنة التى اظهر فيها العلامة داروين كتابه أصل الأنواع . فكأنه عاش معظم القرن الذى يدعوه الطبيعيون قرن علم الطبيعة الذهبى (١٧٥٩ — ١٨٥٩) وقد توسطه لامارك المعروف اذ اخرج كتابه فلسفة الحيوان فى سنة (١٨٠٩) .

ويعرف همبولد بانه عالم طبيعى ورحالة كبير . ولد في برلين فى ١٤ سبتمبر سنة ١٧٦٩ . وكان أبوه ضابطا كبيراً فى الجيش البروسى ، وينتمى الى اسرة من « بوميرانيا » ذات حسب ونسب . واشترك أبوه فى حرب السنين السبع وكوفىء أزاء امانته بوظيفة كبيرة فى العصر الملكى . وتزوج فى سنة ١٧٦٦ من « ماريا اليزابيت فون كولومب » أرملة البارون « فون هولويد » ورزق منها ولدان الاسكندر فون همبولد أصغرهما .

وكان همبولد فى صغره ضعيف الجسم والعقل ولم تظهر فيه علامات النجابة مطلقاً . غير أن خصائصه ظهرت آثارها في حياته سريعاً ، إذ كان يغرم كل غرام بجمع النباتات والحشرات والاصداف ويكب على التمعن منها والتغرس فيها طويلا . ومات أبوه فجأة فى سنة ١٧٧٩ ، فترك لعناية أمه فقامت عليه خير قيام وعنيت بتربيته واخيه الاكبر عناية تامة . وارادت أن تجعله من رجال السلك السياسى فاكب علي الاقتصاد يدرسه حتى اتمه فى ستة اشهر في جامعة فرانكفورت ، وقبل بعد ذلك بسنة واحدة — ٢٥ ابريل سنة ١٧٨٩ — فى جامعة « غوتنجن » حيث كان لها شهرة ترجع إلى محاضرات « هينى » و « بلومنباخ » . ولم يكن لينفق اجازاته السنوية عبثاً بل كان يقضيها سائحاً علي شواطىء نهر « الرين » منقباً فى الاحياء والاحجار . وكان من وراء ذلك ان نشرت له بضعة مقالات ظهرت فيها نجابته الفائقة وقوة ملاحظته الغريبة . ولقد حملته ميوله الى الطواف والرحيل على ان يصادق « جورج فورستر » بن زوجة هينى ، وهو من رفقاء كابتن كوك فى رحلته الثانية . وعلي الرغم من تنوع دراساته واتساع آفاقها ، فانه وجهها بكل مافيه من أمل ويقين لتكون عدته فى المستقبل اذا مااصبح « رحالة » يبحث فى العلم . وهذا مانال همبولد فى سنى حياته . وعلي هذا الامل درس التجارة واللغات في « همبرج » والجيولوجيا في « فريبرج » علي « فرنر » والتشريح فى « يينا » على « لودر » « والفلك » واستعمال الآلات علي « فون زاخ » « وكوهلر » .

وماتت أمه — في ١٩ نوفمبر سنة ١٧٩٦ — فتخلص من آخر قيد كان يصده عن أن يرضي شهوته في الارتحال والطواف في مجاهل الارض . وكان تعطيل بعث الكابتن « بودن » وهي رحلة كانت أعدت للطواف حول الارض، سبباً في أن يهيم على وجهه في أوروبا باحثاً وراء تحقيق امله الكبير . فسافر من باريس إلى مرسيليا مصطحباً « إيميه بونلان » صديقه الفرنسوي الذي كان على أمل أن يصحب حملة فرنسا إلى مصر كعالم نباتي . غير أن وسائل النقل لم تكن متوفرة ، فنقلا الى « مدريد » عاصمة اسبانيا ، حيث وقعا على مالم يكن ليخطر لهما على بال ، اذ عضدهما الوزير الاسباني « دوركويجو » على أن يجعلا أمريكا الاسبانية مسرحاً لابحاثهما واستكشافاتهما .

وسافرا في السفينة « بيزارو » من « كورانا » في ١٥ يونية سنة ١٧٩٩ فطافا في سفرتهما بتنريف وتسلقا القمة العليا منه . ووصلا في رحلتهما الى كوبا ثم الى جنوب امريكا وطافا بضفاف الاورينوكو والامازون ، في مجاهل المكسيك وجبال تلك البلاد وهضابها ، ثم عادا الى أوروبا حيث هبطا ثغر « بوردو » في أغسطس سنة ١٨٠٤ .

***

يمكن أن يقال بحق ان فون همبولد قد وضع في أثناء رحلته هذه القواعد الاولية التي قام عليها علمين من أشد العلوم الحديثة علاقة بالانسان ومدنيته ، فقد حصر همه في أكثر الامر في البحث في الظاهرات التي كونت علمي الجغرافية الطبيعية والارصاد الجوية وقد عكف اول الامر على البحث في نسبة انخفاض الحرارة بنسبة ازدياد الارتفاع عن سطح البحر ، ووضع أثناء بحثه في الاسباب التي تحدث الزوابع الاستوائية ، أول النظريات التي اعتمد عليها فيما بعد للكشف عن السنن الطبيعية التي تحتكم في التقلبات الجوية في الارتفاعات العليا . وعقب على ذلك بمقالة في « جغرافية النباتات » وضعها على الفكرة الحديثة التي قامت على درس استيطان الصور العضوية في سطح الارض تبعا لتغاير الحالات الطبيعية المحيطة بها . واستكشف من بعد ذلك قانون ازدياد القوة المغنطيسية في الارض من القطبين الى

خط الاستواء وتقدم بهذا الاستكشاف الى الاكاديمي الفرنسوية فى ٧ ديسمبر سنة ١٨٠٤ · أما عمله فى الجيولوجيا فقد انحصر فى درس البراكين فى الدنيا الجديدة وقضى بان البراكين قد تكونت فى جموعها الحديثة تبعا للصدوع التي انتابت الارض فى عصورها القديمة ، وكانت تختفى تحت قشرتها الظاهرة .

ولقد عمد همبولد بعد أن استقر به المقام في العالم المتمدين الى مذكراته الكثيرة وملاحظاته الشتى التى جمعها خلال رحلة يعيد درسها ويكب على تنظيمها ليخرج فى رحلته كتابا وبعد رحلة قصيرة في ايطاليا انتقل الى بلده فقضى فيها سنتين ونيف هبط بعدها باريس سنة ١٨٠٨ واتخذها مقراً لابحاثه العلمية ليكون على مقربة من علمائها الاعلام فيستعين بهم على فهم كثير من الحقائق التى جمعها أثناء رحلته . ولقد خيل اليه انه يستطيع ان يتم كتابه الكبير فى عامين أو ثلاثة اعوام ، ولكن خاب ظنه فقد أكب على العمل فيه واحد وعشرون سنة ، وبقى بعد ذلك غير كامل.

ولقد انهالت عليه الالقاب العلمية من كل مكان ، وتناست المجامع العلمية والاكاديمات في ان يكون همبولد في بين اعضائها الشرفيين . ولقد حباه الملك وليم الثالث بان عينه في وظيفة سامية في بلاطه من غير أن يحمله اعباء القيام بواجباتها وقطعه معاشاً كبيراً ضاعفه بعد قليل . وفى سنة ١٨١٤ رافق ملوك المانيا المحتدين الى لوندرا ، وبعد ذلك بسنوات ثلاث حضر مع ملك بروسيا مؤتمر « إكس لاشابل »، ثم مؤتمر فيرونا ، ثم زار معه مدينتى روما ونابولى وقفل منها ثم الى باريس سنة ١٨٢٣ . وبعد ان توفي اخاه ولهلم فون همبولد ، وقد مات بين ذراعيه في سنة ١٨٣٦ غشت ايامه الاخيرة غمامة من الحزن العميق .

والغريب ان همبولد قد اجل نشر كتبه العديدة الى ان بلغ السادسة والسبعين من عمره فان الجزءين الاولين من كتابه «الكون» cosmos — لم يظهرا الا فى عامي ١٨٤٥ — ١٨٤٧ ولقد جال فى فكره ان يخرج كتابا يصف به العالم الطبيعي وصفاً نظريا يقرب حقيقته فى العقول ، وليكون وسيلة

يتذرع بهادارسو الطبيعةاستيعاب فكرة عامة فيها قبل الاكباب على درسها
ولقد ظلت هذه الفكرة تجول فى خاطره نصف قرن من الزمان ، ثم بدأ
فى تنفيذها بمحاضرات اخذيلقيهافي جامعة برلين فى شتاء سنة ١٨٢٧ — ١٨٢٨
وكانت هذه المحاضرات الاساس الذي بنى عليه كتابه الكبير « الكون »

ولقد قضى عشرة الاعوام الاخيرة من عمره فى انجاز كتابه الكبير
الذي قص فيه حوادث رحلته وملاحظاته العلمية التى درسها خلالها .فاخرج
الجزءين الثالث والرابع بين عامي ١٨٥٠ — ١٨٥٨ ونشر شطراً من الجزء
الخامس فى سنة ١٨٦٢ . اما هذا الكتاب فعبارة عن موسوعة علمية جمعت
من حقائق العلم ومن مرغبات الاكباب عليه ومن اوصاف الطبيعة ، ما جعل
للعلوم الطبيعية شأناً لم يكن لها قبل ان يتفق عمره الطويل المنتج فى
درسها ووصفها .

فى ٢٤ فبراير سنة ١٨٥٧ فوجىء همبولد بأزمة صرعية مرت من غير
ان تترك فى كيانه اثراً ظاهراً. ولكن قوته بدأت تنحط فى شتاء سنة
(١٨٥٨ — ١٨٥٩) وتوفي على اثر ذلك فى ٦ مايو في سنة ١٨٥٩ بينما كان
العلامة داروين مكبا على اخراج كتابه الخالد اصل الانواع . ولقد كان لوفاته
رنة حزن عميقة في نفوس العلماء فى كل انحاء العالم المتمدن وامريكا ، ودفن
باحتفال حافل كان من اهم مظاهره ان يستقبل ولى عهد بروسيا جثمانه حاسر
الرأس أمام الكاتدرائية .

ولم يتزوج همبولد فى حياته ، إن كانت اخلاقه ورضى صفاته تجعله من ذلك
الضرب القليل الذى يجذب اليه القلوب الجامدة بله القلوب الملتهبة بحرارة
الانفعال .

واحتفل بمرور مائة سنة علي ميلاده فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٦٩ احتفالا
كبيراً اشتركت فيه معاهد العلم وجماعاته فى العالمين القديم والحديث .

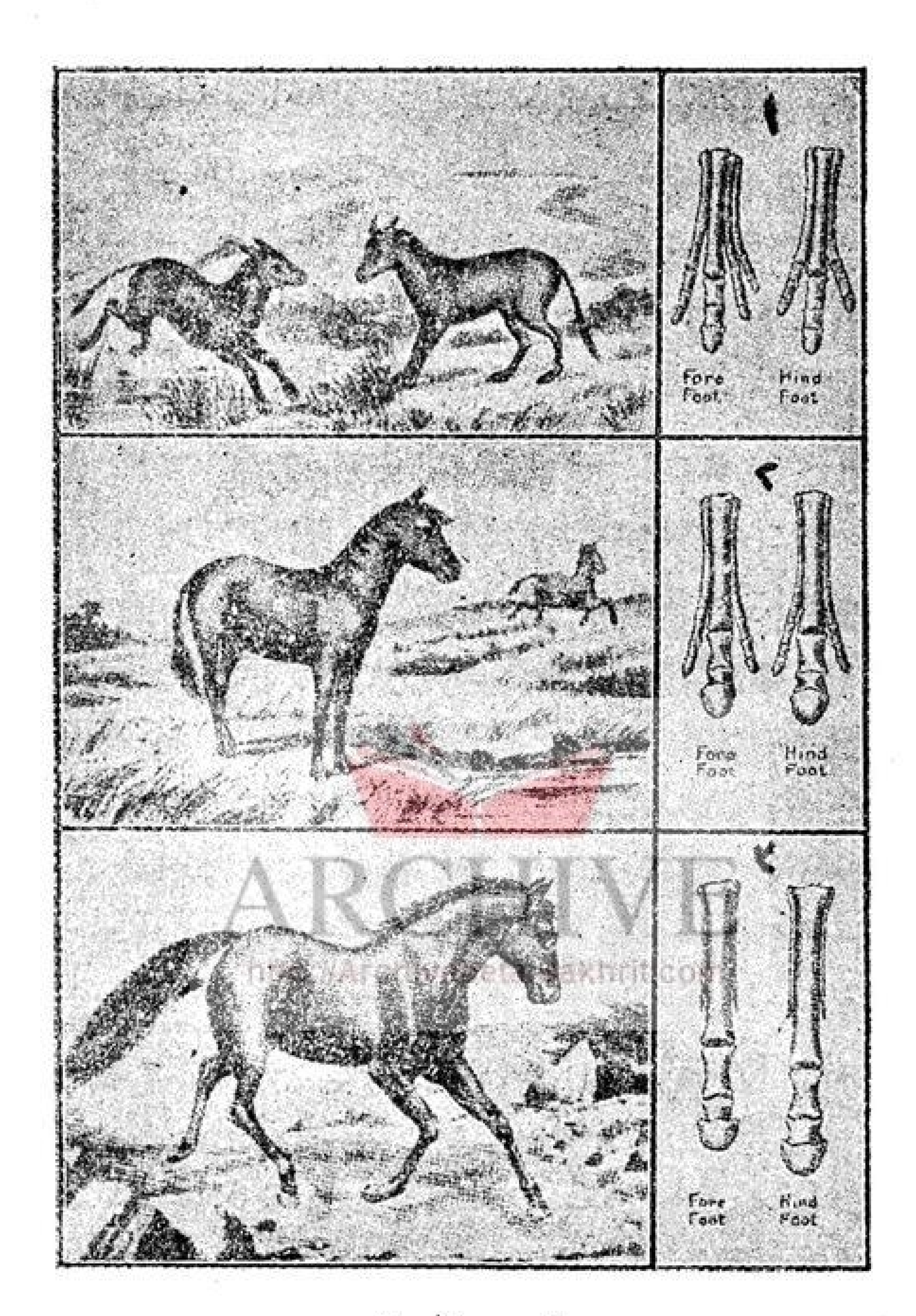
فصول في التاريخ الطبيعي

الحصان : أصله ونشوءه

نشط العلماء بعد أن استتب الامر لمذهب النشوء بجهود داروين وولاس وهكسلي وسبنسر فى انجلترا وهيكل فى المانيا يبحثون عن الحلقات التى تربطنا بين الانواع بعضها ببعض لان من انكى المعترضات التى عورض بها داروين في مذهبه النشوئى قول المنتقدين بانه إذا كانت الانواع قد نشأ بعضها من بعض بالتسلسل ، وجب أن توجد الحلقات التى تربط كل نوع بالآخر على مدى الدهور

ولقد رد داروين على منتقديه فى الفصل العاشر من كتابه أصل الانواع وفى مواضع متفرقة من الفصل السادس وعلى الاخص لدي كلامه في نشوء التنوعات . ولكن الوقوف على بعض الحلقات التى تربط بين الانواع بالفعل كان من اكبر المشاهدات التى أقرت مذهب النشوء فى نصابه . وكان العثور على حلقات تربط بين أنواع عليا أبلغ فى التدليل على صحة النظرية من العثور على حلقات تربط بين الانواع كالدنيا كصور الحشرات وغيرها . وزاد الى هذه النظرية قوة وقوف العلماء على الحلقات التى تربط بين المراتب الكبرى فى النظام الحيوانى ، مثل الحلقات التى تربط بين الزواحف والطيور ، وبين الاسماك والزواحف ، وبين الفقارية وذوات الثدى . ولا جرم أن الباحثين قد عثروا ببرهان جديد يؤيد مذهب النشوء عند ما عثروا على الحلقات التى تربط بين الحصان وبين أصل أولى منقرض عنه نشأ

ففي مباحث التاريخ الطبيعي يعتبر الحصان والحمار العادى وحمار الزرد Tebra — اعضاء فصيلة واحدة من اكبر فصائل ذوات الثدى ، لانها الفصيلة الوحيدة التى تمتاز بان لارجلها اصبع واحد هو ما نعرفه عادة بالظلف وذوات الاظلاف كثيرة الصور .



نشوء الحصان

(١) الصورة الأولى تمثل الايوهيبو Eohippus وكان فى حجم الثعلب من ذوات الأربع وله ثلاثة أصابع (٢) تمثل الميوهيوس Miohippus وكان له ثلاثة اصابع منها اثنان وهما الجانبيان أكثر ضمورا من اصابع الاول (٣) الحصان وفيه يظهر كيف انضمر اصبعان وبقى الاوسط وفيه الظلف العادى المعروف لنا .

ولكن هذه الفصيلة تمتاز بأن ظلفها موحد غير مكثر . وهذه الحيوانات تختص بالمقام فى مجاهل افريقية وغربى آسيا غير انها اخذت تنتشر الآن فى اوروبا والجزر البريطانية

وما عثر عليه من الحلقات التى تثبت تطور هـذه الفصيلة عن حيونات متقرضة ، عاش خلال العصر الثلاثى ـ Tertiary ـ من العصور الجيولوجية وهو أقرب عصر جيولوجي لعصرنا الذى نعيش فيه ـ Ouarternary ـ والحلقات التى عثر عليها تدل علي تطور تدرجى طرأ علي الصور الاصلية :

غير أن الاغرب من هذا ان الباحثين قد عثروا في شمال امريكا وجنوبها حيث نشاء صنف خاص من الخيل ، على حيوان حفري عاش إلى حدود العصر الجليدى الأخير . ثم انقرض فجأة من الحياة . ولما مر العصر الجليدي بما احدث فى صور الاحياء من احداث يعرفها علماء الحفريات واستعمر الاسبانيون امريكا نقلوا معهم بعض الخيل فتكاثرت هنالك تكاثراً كبيراً وبلغ عددها من زمان قصير عدداً لايتصوره الوهم .

والاغرب من كل هذا أن الصور الحفرية التى هى اسلاف نوع الخيل قد عثر بها في امريكا واوروبا على السواء مع بعض الفوارق القليلة التى تختص بها الصور التى وجدت فى كلتا القارتين . وهذه الشواهد تدل على ان شمال المحيط الاطلانطيقى كان متصلا باوروبا من طريق آسيا وان هذا الاتصال ظل قائما الى عهد قريب قبل أن يتصدع وان المهاجرة من امريكا الى اوروبا ومن هذه الى امريكا كان يقع في احيان كثيرة

ويصعب علينا أن نقضى بحكم في نشوء الحصان الحالى وهل كان في امريكا أم فى أوروبا . ففى كلتيهما عثر على بقايا حيوان كان فى حجم الثعلب المعروف ، وتدل كل ظواهره الحيوانية على أنه الاصل الذى نشأ عنه نوع الخيل فى العصور الحديثة . ويقول اكثر الباحثين أن النوعين الاصلين الامريكى والاوربى قد تلاقحا واندمجا فى أواخر العصر الجيولوجي الثالث لان ذلك النوع كان خفيف الحركة محباً للهجرة والتجوال .

وأشهر من كتب في هذا المضوع كاتبة امريكية تدعى « شارلوت بركنس غلمان » بحثت هذا الموضوع اطلى بحث وأمتعه

الزولوجيا

أو

مبادىء علم الحيوان

— ٨ —

اذا تركنا المخلوقات التى نصرف عليها عادة اسم « الديدان » ـ worms ـ ننتقل الى عالم من المخلوقات أكثرمنها رقياً ، فاناولاشك نبدأ بتلك الحيوانات التى تصرف عليها عادة اسم « الارثرو بودا » ـ Arthropoda ـ اصطلاحا . وقد ندعوها فى العربية ترجمة « ذوات الارجل المفصلية » لان حيوانات هذا الجذع تشابه فى كثير من صورتها العامة حيوانات « الانيليدا » ـ الديدان الحلقية ـ التى سبق أن تكلمنا فيها من قبل . فان أجسام هذه الحيوانات تتركب من حلقات بعضها متصل ببعض في حلقات أودوائر تدعى اصطلاحا ـ somites ـ اما جهازها العصبى فمشابه كل المشابهة للجهاز العصبى الذى تختص به « الانيليدا » اذ يتكون من مخ ـ Brain ـ وعصب طوقى ـ nerve collar ـ ووتر عصبى باطن Ventral nerve-cord . اما أخص صفات هذه الحيوانات فوجود طبقة سطحية صلبة على ظاهر أجسامها تدعى اصطلاحا ـ Cuticle ـ أى البشرة القرنية ، تحدث بافرازات تخرجها خلايا الجلد الخارجى . ونعثر في « الانيليدا » على بشرة تشابه هذه البشرة ، غير انها تكاد تكون جلاتينية غير صلبة . اما في الارثرو بودا فتكون سميكة صلبة ، تشابه درعا قويا يحميها من الطوارىء . فاذا نما الحيوان فى الحجم نبذ هذه البشرة القرنية مرة أخرى ، ثم تعود الى التكون مرة بعد مرة . وهذه العملية تدعى « التبديل »Moulting

واصطلاحا ـ Ecclysis ـ وهي تقع بين الارثر وبودا أكثر مما تقع بين
— النيماتودا — لان هذه البشرة في الحيوانات الاولى أقل مرونة منها فى الثانية
وقد شرحنا لدى الكلام فى النيماتودا هذه الظاهرة ويحسن بنا أن ننقل هنا
ما كتبنامن قبل :

«وهذه البشرة Cuticle كثيرة المرونة — فى النيماتودا — فعندما يبتدئ
الحيوان الصغير فى النمو من حيث الطول اذ يمتد مع امتداد جسمه . غير ان لمرونتها
حداً تقف عنده فقد يحدث فى بعض الحالات أن تنفجر هذه البشرة وتلقى
بعيداً ، عندما يأخذ الحيوان فى النماء من حيث الطول سريعاً ، ومن ثم يمضى
فى تكوين « ثوب » آخر يتجدد بتجدد الافراز »

اما حركة الحيوان ، وهو مظروف فى مثل هذا الدرع الصلب ، فتتم بواسطة
لفائف تصل بين اجزاء البشرة وتجعلها مرنة بعض المرونة ، وتكون لاجزاء
البشرة بمثابة « المفصلات » لغلق الباب . وتسمى هذه اللفائف المرنة اصطلاحاً
«الاغشية الارثروبودية » Arthropoidal membranes كما تسمى الاجزاء
الصلبة اصطلاحاً Scelerites ويجوز أن تدعوها فى العربية «الثاآليل»

وتختلف الاطراف التى تنبت من جانب الحلقات الجسمية قلة وكثرة وهذه
الاطراف تكون مزدوجة دائماً قلت ام كثرت . اما طريقة الحركة فى هذه الحيوانات
فتختلف عنها فى « الأنيليدا » ، واوفق ماتدعى به حركة « الآرثروبوديات »
علميا هى ان تدعو حركتها « بالحركة التجديفية » Rowing اذا كانت من الانواع
المائية « و بالحركة الانتقالية » اذا كانت من الانواع الارضية. وبعض هذه
الاطراف اذ تكون قريبة من الفم تكون مهيئة لتفتيت الطعام ، فتدعى
Gnathites اى الافكاك Jaws

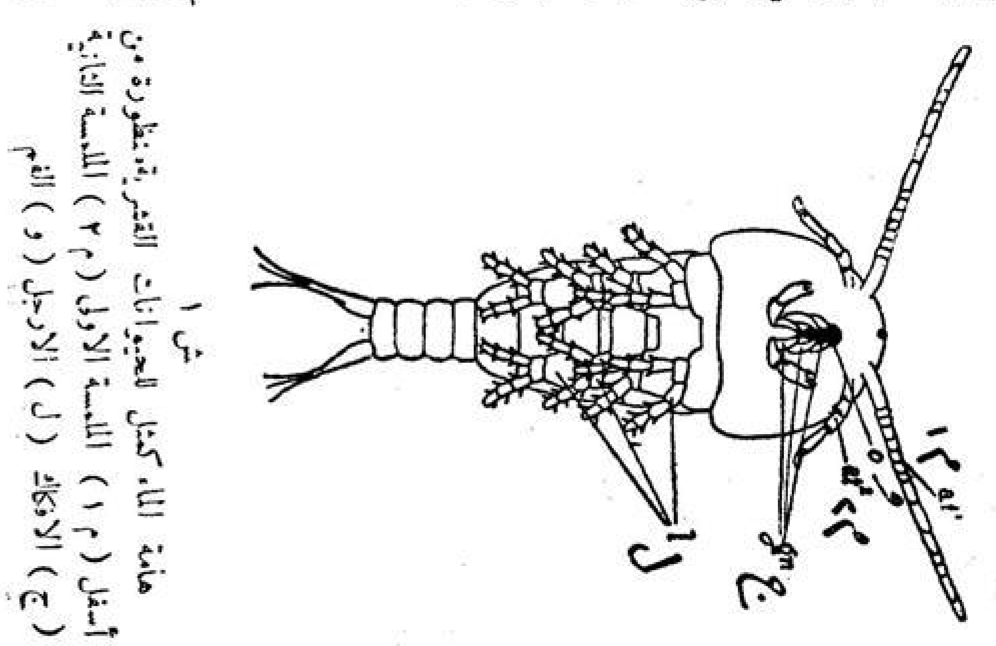
و بين الانيليدا والارثرو بودا فرق فزيولوجي كبير لايجب ان يغفل عنه مطلقاً .
فان الفجوة الجسمية الثانوية في الارثرو بودا وتدعى اصطلاحاً coelom تكون
صغيرة منضمرة ، في حين ان الفجوة الجسيمة الاولية Primary bocy-caivty تكون

كبيرة ممتدة فى سلسلة من الفجوات .

على أن الفجوة الجسيمة الثانونة تكون كبيرة فى صغار هذه الحيوانات. اذ تكون فى طورها الجنيني ولكن اذا كبرت واخذت اعضاؤها فى النشوء تعطل النماء فى هذه الفجوة وعجزت عن ان تلحق ببقية اعضاء الجسم من حيث النمو فتكون فى الحيوان البالغ عبارة عن فجوات شبيهة باكياس صغيرة تنبت على جدرانها الخلايا التناسلية

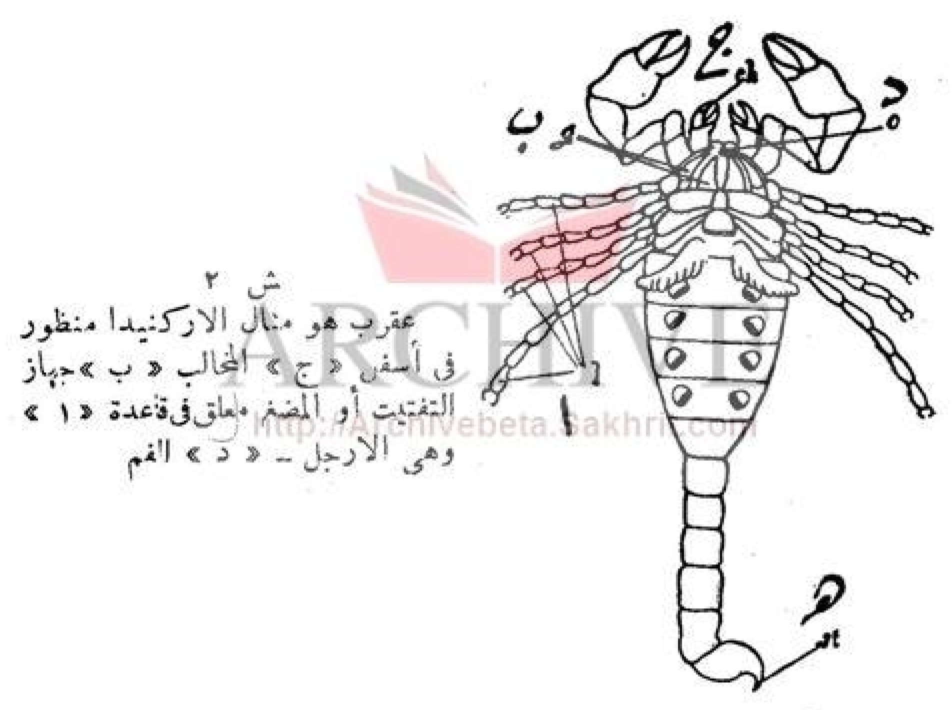
ان الارثر و بودا من الجذوع الهامة فى علم الحيوان ، وتحتوى نصف مليون نوع على وجه التقريب ، وصفها علماء الحيوان كلها امتع وصف وأدقه على أن لهذه الحيوانات من الأثر فى تحديد الحياة الانسانية على الأرض اكثر مما لكل الجذوع الأخرى . فاذا تركنا الاقسام الدنيا منها رأينا ان العلماء يقسمونها الى ثلاثة اقسام كبرى :

اولا — الكراستاسيا Crustacea او الحيوانات القشرية وكلها على وجه التقريب من الحيوانات المائية . وفى هذه الحيوانات يتحول الزوجان الأولان من الاطراف التى تستوى بالقرب من الفم إلى ملامس هشة، وأما الزوجان اللذان يليانهما، وغيرهما في بعض الاحيان ، فيكونان فكاكاً تفتت الطعام وتزود به الحيوان.



ش ١
هيئة شكل الحيوانات القشرية منظورة من أسفل (م ١) اللامسة الأولى (م ٢) اللامسة الثانية (ع) الأفكاك (ل) الأرجل (و) الفم

ثانيا — الاركنيدا — Arachindae — أى «العنكبوتية» فى الاصطلاح العربى وفيه تجد أن الزوج الاول فى الاطراف قد هيىء ليكون مخالب تدعى اصطلاحا فى اللسان الحيوانى — chelicerae — ولا يوجد فى مقدم الفم من الاطراف غير هذا الزوج وحده . اما أزواج الاطراف التى تلى فيما بعد فقد تكون عريضة لدى قواعدها ؛ أى عند اتصالها بالجسم ؛ وتزداد خشونة لتساعد على تفتيت الطعام ، ولكنها تستعمل أيضاً للحركة وأكثر أنواع « الاركنيدا » من الحيوانات الارضية ، غير أن بعض أنواعها ذات عادات مائية تستحق العجب .



ش ٢
عقرب هو مثال الاركنيدا منظور فى أسفل « ج » المخالب « ب » جهاز التفتيت أو المضغ معلق فى قاعدة « ا » وهى الارجل — « د » الفم

ثالثا — الحشرات — أو اصطلاحا الانسيكتا — Insecta — وليس للحشرات الا زوج واحد من الاطراف فى مقدم الفم مهيئاً ليكون ملامس لا غير . ثم ثلاثة أزواج من الاطراف قد انقلبت الى أفكاك . اما الجزء الذى تعلق به الملامس والافكاك فيدعى الرأس Head ومن بعده جزء قابل للحركة يدعى Neck اصطلاحا أى الرقبة وبعد الرقبة جزء من الجسم تعلق به ثلاثة أزواج من الاطراف تستعمل للحركة والتنقل . ويدعى هذا الجزء من الجسم اصطلاحا Thorax أى « التجويف الصدرى » وهو يتكون من ثلاثة « فصوص »

اما القسمان الثاني والثالث من هذه الاقسام ؛ فينبت لها في ظاهر جسمها « زوائد » مسطحة تستعمل للطيران وتدعى « الاجنحة » wings اصطلاحا .

ومن بعد التجويف الصدرى يقع جزء من الجسم يتكون من تسعة أو عشرة فصول ولا زوائد فيه يدعى اصطلاحا « الامعاء » abdomen

ان كلمة « انسكت » insect التي ندعوها في العربية حشرة ، تدل في الاصل على معنى « القطع في شيء » وهذا يشير الى الاقسام الثلاثة التي ينقسم اليها الجسم في الحشرات.

ش ٣

خنفساء متطورة في أسفل كمثل للحشرات « و » زوج الملامس « ا » الامعاء ط • الجناح المقدم • ج،د ، ه • ثلاثة أزواج من الافكاك • ى • الجناح المؤخر • ذ • الرأس • ب • أرجل المشى • ح

والحشرات تتنفس بواسطة انابيب تدعى « الانابيب الهوائيـة » air tubes تتشعب من داخـل التجويف الصدرى أجسامها والحشرات تعيش في الهواء كما تعيش في داخل الارض . اما أنواعها القليلة التي تعيش في الماء فتحمل معها أنابيبها الهوائية ، وهناك تكون حياتها أشبه بحياة الحيوانات الغائصة لا الحيوانات المائية بطبيعتها كالاسماك .

وفصيلة الحشرات تتضمن كثيراً من الصدر كالذباب والخنافس والنمل والنحل والزنابير والفراش والبق والجراد والعث والنطاط . اما العناكب والسوس ، فعلى الرغم من انها تدعى عادة حشرات ؛ فانها لدى الواقع من الاركنيدا ؛ لا من الانسيكتا .

الاستكشاف القطبي

نبذة من تاريخه وآخر حوادثه

كان للاستكشاف الجغرافي أثر كبير في تغيير أساليب الفكر والقضاء على الاوهام التي شاعت في القرون الوسطى وكانت أكبر سنادة للكنيسة في بث تعاليمها المعروفة . ولقد كان جهل الناس حقيقة موطنهم الاصلي سبباً في أن يتقبل الناس أقاصيص المبشرين بحسن نية . فلما أن فتح الرواد في حدود العصور الحديثة باستكشافهم أقطار الارض رجع الناس شيئاً فشيئاً عن الاعتقاد بالاوهام التي بثها في روعهم رؤساء الدين وأخذوا للحقائق الكونية كما أراد الله أن تكون ، لا كما أراد أهل الدين أن تكون تصوراً من مختلقات أذهانهم .

ولما خلص الرواد من استكشاف البقاع المأهولة من كرة الارض وجهوا بأنظارهم الى الأصقاع غير المأهولة فارتادوها وقطعوا مجاهل القارات الكبرى والصحاري التي هي أشبه بالرمضاء صيفاً وبالزمهرير شتاء . ومن ثم رجعوا الى الاقطار الجليدية يرتادونها وليس لهم من قصد الا البحث العلمي الصرف ، لانها بقاع لا تستعمر ولا ينتفع بها مادياً . فمن أجل العلم ماضحوا ومن أجل البحث ماانفقوا من مال ومتاع وأنفس .

ولقد كان لنكبة المنطاد ايطاليا أخيراً وهو الذي استقله الجنرال نوبيلي ورفاقه ، ومنهم الاستاذ مالجرن السويدي المعروف ، صدى تجاوبت به أنحاء العالم وقامت قيامة الصحافة في أطراف الدنيا تطالب بعمل تحقيق يتناول أسباب النكبة ومن المسؤول عنها ، وعما وقع لبعض رفاق نوبيلي بعد أن تحطم منطاده بالفعل . وقد قيل بأن مهندس الجهاز اللاسلكي لم يكن واقفاً على أسرار مهنته بقدر كاف وقيل بأن بعض الايطاليين الذين هبطوا على الجليد مع مالجرن قد تركوه بغير عناية بعد أن كسرت ساقه عرضة للموت والآلام الشديدة . بل تطرفت

بعض الجرائد الى القول بأنه قتل بالفعل واتخذت بعض أجزاء جسمه طعاما .

ولقد هرع عند وصول الاخبار بنكبة المنطاد كثير من كبار الرواد لنجدة المنكوبين وكان الرحالة المشهور أمندصن أول من هب للنجدة على الرغم عما كان بينه وبين نوبيلي من حفيظة ، فقضى شهيد الواجب ، بل قضى حيث كان يجب أن يقضي نحبه بين الثلوج التى أحبها واستكشف أرجاءها القصية ، فكأن الجليد قد انتقم ممن فضح أسراره الابدية، كما انتقم الملك المصرى توت عنخ آمون ممن كان سببا في انتهاك حرمته المقدسة .

ولقد أعادت هذه الحوادث على أذهاننا ذكريات أربعة من رواد المجاهل القطبية كان آخرهم من الاحياء أمندصن وقد لحق بمن سبقه من الابطال . لهذا إردنا أن نتكلم فى أربعة من أبطال الارتياد القطبى فان فى تاريخهم عظة كبرى وفي سيرتهم مثلا أعلى لما يمكن أن تبلغ اليه الصفات الانسانية من صبر واحتمال .

ويحسن بنا أن نأتى بطرف موجز فى سيرة الدكتور مالجرن لنعرف مقدار مصيبة العلم فيه . « كان الدكتور فن مالجرين العالم السويدى النابه في علم الاجواء (المتيورولوجيا) احد ثلاثة ممن حاولوا بعد نكبة السفينة الجوية (ايطاليا) الوصول الى منطقة الارض الشمالية الشرقية مشيا على الاقدام وان قصة مماة صحيفة من انبل صحائف الاكتشاف القطبى .

كان الدكتور مالجرين شابا لم يزد عمره على الثلاثين والتحق كعالم بعلم الأجواء فى بعثتين قطبيتين قبل ذلك ومما حفزه الى التعمق فى دراسة العلوم الطبيعية اتصاله بالاستاذ هامبرج فى مرصد بورثتيا كو حيث كان مساعدا له وفى سنة ١٩٢٢ التحق ببعثة اموندصن على ظهر الباخرة «مود» وكانت في بداية المرحلة الثانيه فى الكشف عن الحوض القطبى الشمالى . وقد استغرقت هذه الرحلة ثلاث سنوات اذ عبرت الباخره « مود » مضيق برنج سنة ١٩٢٥ وفى خلال هذه السنوات الثلاث كان الفقيد يواصل دراساته على ظهر الباخرة حتى انه عند رجوعه

درجة « استاذ في العلوم » ثم الدكتوراه وفى العام التالى اشترك في الطيران فوق حوض القطب الشمالى فى السفينة الهوائيه « نورج » وكتب فصلافي « الجو والتنبؤ به اثناء الطيران صوب القطب » فى الوصف الرسمى لاعمال البعثه الذى كتبه اموندصن والسورث

وفى هذا العام عين محاضرا وامينا لقسم التاريخ الطبيعى فى كلية فاسما نلندر (التابعه) لكلية ابسلالا ولما عرض عليه الجنرال نوبلى الالتحاق ببعثة « ايطاليا » كخبير فى الاجواء قبل هذا العرض عن طيب خاطر رغم كل اعتبارات أخرى

***

الكابتن سكوت

غادر الكابتن سكوت ورفاقه لندن فى أول يونية سنة ١٩١٠ وجهتهم القطب الجنوبى ولكن اخبارهم انقطعت عن العالم المتمدين فى اوائل سنة ١٩١٢ ، وبقيت اخبارهم غير معروفة حتى غادت السفينة التى اقلتهم الى البقاع الجليدية الى نيوزيلاندا وكانت تدعى الارض الجديدة « تيرانوفا » .

ش ١
الكابتن سكوت

وقد انقسمت بعثة سكوت عند وصولها الى اول الاصقاع الجليدية الى ثلاث فرق وعنيت الفرقة العلمية بعملها وا كبت عليه منذاول وصولها الى تلك الاصقاع ، فا كب العلماء والخبراء الذين رافقوا سكوت على تدوين الارصاد

ومعرفة المغنطيسية الارضية فى تلك الاصقاع ودرس طبائع الطيور والحيوانات والجراثيم والحيوانات الدوارة التى تعيش فى الجليد .

واخذ سكوت يتقدم نحو القطب فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢١ – ولكن دوابه ماتت فتأخر عن التقدم شهراً آخر . ثم عاد يتقدم الى القطب غير مبال بالاهوال والشدائد فبلغه فى ١٨ يناير سنة ١٩١٢ وكان معه اربعة من رفقاهم دكتور ويلسون والكبتن أووتس والملازم بورز والضابط البحرى ادغر القيانس . ثم تقلوا اجمعين الى مراكزهم الاولى فعانوا من الشدائد مالا يبلغ اليه وصف ، فصيب ايفانس بارتجاج الدماغ ومات ، ومرض أووتس وقل لديهم الوقود . وفى ١٦ مارس بينما كان الرفاق الأربعة جالسين تحت كهف من الثلج وبينهم او وتس مريضاً وقد رأى نفسه انه اصبح عالة على رفاقه تقدم نحو هاوية من الثلج عميقة الغور ووقف على حافتها ورفقاؤه ينظرون اليه من غير أن يتنبه منهم احد الى غرضه ، ثم التفت اليهم وقال « استودعكم الله » ثم القى بنفسه فى الهاوية ليخلص رفقاؤه من ثقل حمله والعناية به . وهذا مثل من التضحية لا يعرفه الا رجال آمنوا بغرضهم فى الحياة ايماناً كبيراً .

وواصل سكوت ومعه دكتور ويلسون وبورز حتى اصبحوا على بعد احدعشر ميلا من مركزهم العام ولكن الزمهرير اشتد عليهم فتعذر عليهم أن يتقدموا خطوة واحدة ولم يكن معهم من الزاد الا مايقوتهم يومين اثنين لا غير . وكان قد خرج من المركز العمومى بعض اعضاء البعثة يبحثون عن سكوت ورفاقه والظاهر أنهم اقتربوا منهم كثيرا ولكن شاء القدر أن لا يهرب سكوت ورفقه من يد الموت ، فالجؤا الى كهف ينتظرون الموت . وظل سكوت يرقب الموت يسرى فى مفاصل رفاته ، فلما مات اولهما زم عليه اورديته وخاطها عليه ، ولما مات الثانى فعل به كما فعل برفيقه ، وظل ينتظر الموت وحده ، ثم فكر في ان يكتب رسالة الى الامة الانجليزية وقد وجدت بجانب جثته فقال فيها :

«ان فشلنا لم يكن لاننا اخطأنا فى تدبير امورنا ، بل لانه نزلت بنا نوازل لم تكن منتظرة

فاولا — فقدنا دواب النقل فى مارس سنة ١٩١١ فاضطررت ان أؤخر سفرنا وان اقلل المؤنة التى اخذناها معنا

وثانياً — اشتد البرد وثارت العواطف كل مدة السفر ولاسيما حينما كنا عند الدرجة ٨٣

وثالثا — وجدنا الثلج رخفاً ليناً فابطأ سيرنا عليه .

«وقد قاومنا هذه العوائق بهمة ونشاط وتغلبنا عليها ولكنها قللت مؤونتنا ولولا مصيبة أخرى حلت بنا لوصلنا الى القطب ورجعنا منه ومعنا زاد كاف لاننا كنا قد استعددنا لهذه الطوارىء . اما المصيبة فهى مرض الرجل الذى كنا نحسبه اقوى منا كلنا واصبرنا على المشقة وهو إدغر ايفانس . وكان امامنا نهر الجليد المسمى « بيرومور » وعبوره قليل الصعوبة فى الصحو ولكنها لم تصح يوماً واحداً فى رجوعنا ومعنا رجل مريض نضطر الى حمله ، فانه وقع واصيب بارتجاج الدماغ ثم مات بعد أن هد حيلنا ، وتركنا وفصل الزوابع قد أدركنا ولكن ذلك كله لم يكن شيأ مذكوراً بجانب ماوجدناه مخبوء لنا . فما من مخلوق كان يظن اننا نصادف البرد الذى صادفناه في هذا الفصل من السنة ، فقد كانت درجته ٢٠ الى ٣٠ تحت الصفر بين عرض ٨٥ و٨٦ ولكننا لما رجعنا الى العرض ٨٢ وفى مكان من الأول ١٠٫٠٠٠ قدم رأيناه ٣٠ تحت الصفر نهاراً و٤٧ تحت الصفر ليلا والريح تعصف فى وجوهنا صرصراً مستمراً ثم قال

«حقاً لقد جازت ملمات الزمان حدودها واستنزفت آفاته مجهودها

لقد ركبنا الاخطار عن طيب نفس فجاءت التقادير على غير ماانتظرنا فلا نشكو من احد ولا نلوم احداً بل نسلم انفسنا للاقدار عازمين أن نبذل جهدنا الى النهاية

«ولكن ان كنا قد خاطرنا بانفسنا لاجل شرف وطننا فاننا نتوقع من ابناء

الوطن ان يعتنوا بالذين تركناهم وراءنا وليس لهم ملجأ سوانا

«واذا فسح لنا فى الاجل فعندى كلام كثير فى وصف شجاعة رفاقى وصبرهم وتحملهم المشاق - كلام يثير النخوة فى صدر كل ابناء وطنى ولكن هذه السطور وجثثنا الهامدة ستخبر خبرنا ويقينى تام فى أن بلادا عظيمة غنية مثل بلادنا تعنى بالذين تركناهم فى بيوتنا

سكوت

امندصن

وصل امندصن ورجاله فى رحلته الى القطب الجنوبى الى ارض مرتفعة تبلغ قمتها ١٠٧٥٠ قدماً فوق سطح البحر فى ٦ ديسمبر سنة ١٩١١ وكان ذلك درجة ٨٧ و١٤ دقيقه عرضاً . وفى ٩ ديسمبر بلغوا الدرجة ٨٨ والدقيقة ٣٩ من العرض الجنوبى ، فكان بينهم وبين القطب درجة واحدة و٢١ دقيقة وفى ١٢ ديسمبر بلغوا الدرجة ٨٩ والدقيقة ٤٥ وفي يوم ١٤ بلغوا القطب نفسه وكانت درجة الحرارة ٢٣ تحت الصفر . والقطب سهل مرتفع فسيح جداً . وفى ١٥ ديسمبر سنة ١٩١١ رصدوا ارصاداً كثيرة فوجدوا انهم على الدرجة ٨٩ والدقيقة ٥٥ فمشوا تسعة كيلو مترات اخرى ليكونوا قد اجتازوا القطب فعلا .



ش ٢
امندصن

وفى (مايو) سنة ١٩٢٥ استكشف القطب الشمالى بالطيارة بعد استعداد لهذه الرحلة الكبيرة ظل عدة سنوات . ولما نكب المنطاد ايطاليا كان امندصن أول من فزع للنجدة

ولكنه فقد ولم يعرف مقره حتى اليوم والظن الغالب انه مات فى الاقطار الشمالية المتجمدة ولاشك فى انه اكبر رائد للقطبين فى هذا العصر

***

سير ارنست شكلتن



ش ٣
شكلتن

حاول الرواد استكشاف القطب الشمالى منذ سنة ١٨٤٠ اذ حاول السرجون فى فرنكلين أن يكشف طريقاً بحرياً الى آسيا من الشمال الغربى ، ولكنه مات دون غرضه هو وجميع رجاله الذين رافقوه فى رحلته هذه . وتوالت بعد ذلك بعثات الاستكشاف وكل بعثة منها تقرب من القطب خطوة ابعد من الخطوة التى بلغتها سابقتها. فان سير فرنكلين مات وهو من القطب على بعد ١٣٢٥ ميل . وكان آخر من استكشف القطب فى سنة ١٩٠٩ سير شكلتون فوصل الى ابعد ماوصلت اليه البعثات القطبية اذ كان على بعد ١١١ ميل من القطب

***

القومندور بيرى

هو مستكشف القطب الشمالى ، اى أول من بلغ اليه من راود الجليد . ولد فى ولاية بنسلفانيا بامريكا فى ٦ مايو سنة ١٨٨١ وتخرج من كلية



ش ٤

بيرى بملابس القطب

بودين سنة ١٨٧٧ ثم عاون فى مسح بحيرة نيكاراغوى بامريكا الوسطى ، ثم اصبح رئيساً لبعث مساحة تلك الاصقاع سنة ١٨٨٧ ورحل بعد ذلك رحلات عديدة وكان محباً للمخاطرة مغرماً بالاستكشاف فبعد ان قفل من سياحته الى انجلترا أعد العدة لرحلة قطبية حتى اتمها واقلع من ميناء نيويورك فى ١٦ يناير سنه ١٩٠٥ ومعه من المؤونة مايكفيه وصحبه حولين كاملين . ومازال يضرب فى مجاهل تلك الاصقاع الجليدية حتى وصل فى ٢١ ابريل سنة ١٩٠٦ الدرجة ٨٧ والدقيقة ٦ من العرض الشمالى وهو اقصى مابلغه انسان من شمال الكرة الأرضية . ولكنه عاد بعد ذلك الى امريكا من غير أن يصل الى القطب .

ثم عاود الكرة مرة اخرى سنة ١٩٠٨ فاستقل سفينته « رزوفلت » وكان معه ستة من رفاقه ، وأخذت المؤونة تقل شيئاً فشيئاً فكان يعيد رجاله واحداً بعد الآخر الى مركز الرحلة خوف أن يموتوا جوعاً ولما وصل الدرجة ٨٧ والدقيقة ٤٨ من العرض الشمالى بقى معه الكبتن بارتلت ، فاضطر الى ارجاعه أيضاً . وسار بيرى يصحبه خادمه الاسود واربعة من الاسكيماويين يواجهون المصاعب ويذللون المشاق حتى بلغوا القطب فى ٦ ابريل سنة ١٩٠٩ .

ثم عاد ادراجه وصحبه افراد بعثته الى امريكا فوصلوها فى آواخر سنة ١٩٠٩ سالمين لم يصب احد منهم بسوء .

بين الصحف والمجلات

حول الاسلوب العربى

مجلة الحديث العدد السابع من السنه الثانيه تحت عنوان (سلامه موسى . بين خصومه وأنصاره) .

جرت العصور على طريقة من النقد لم ترض الكثيرين من الكتاب والاساتذة على الاخص . وما يعنينا من شيء رضوا أم غضبوا مادمنا نرضى ضميرنا ونقول مانعتقد لافرق عندنا بين صديق وغير صديق . وتناولت العصور فيما تناولت بالنقد بعض أشياء نشرها الاستاذ سلامه موسى الذى لايمكن بحال أن نحاول ان نغمطه حقه أو ننكر جهوده فى سبيل العلم والادب . غير أن هذا لا يصرفنا مطلقاً عن أن ننقده ونقول بان أسلوبه عامى ، والحقيقة انه عامى الاسلوب لاتجرى ديباجته على ماتتطلب أساليب العربية المنتقاة ، ليكون أسلوبه عربياً . مارمينا الاستاذ سلامه بعد ذلك بالجهل ولا وصفناه بالعى ولا بشيء مما يجرى على أقلام الكتاب عادة . وما لبثنا على ذلك غير قليل حتى قرأنا فى « الحديث » خطابا أرسله الاستاذ سلامه الى الاستاذ المغربى يعرض فيه بالعصور ومحررها ويقول بان كتبه تقرأ بآلاف ومئات الآلاف . على أن هذا ان صح لايغير من رأينا فى أسلوبه شيئاً . وهنا نكرر أيضاً انه أسلوب عامى ليس فيه من الاساليب العربية عين ولا أثر . على انه يكفى لان ينقل لك فى كلمات عربية وجمل تتركب من الفاظ عربية فكرة تجول في رأس صاحبها . وماذا يعنينى اذا كان الاستاذ سلامه موسى قد تربى في انجلترا أوفى بلاد الواق ليكون لهذا الامر عندى أقل اعتبار فى الحكم على أسلوبه العربى ؟ ألم يعترف الاستاذ سلامه بان أسلوبه تلغرافي « لاسلكى » ؟

وليقل لنا بعد ذلك الناقدون ماهو الاسلوب « التلغرافي » فى اللغة العربية وعند كتاب العربية ؟

ولقد قرأت في العدد الاخير من « الحديث » ردان على كلمة تفضل صديقى صاحب الحديث بنشرها في العدد الخامس من سنتها الثانية . احد الردين « لبكالوريوس آداب من أمريكا » ، وما أدراك ماأمريكا ، هومحمد افندى على ثروت · والثانى لصديقى الاستاذ زكى مبارك . اما الاستاذ فيقول بانى أتبع أسلوبا مانفع غيرى لينفعنى . اما النفع والضر ياأستاذ زكي فبيد الله وله فى ذلك أقدار مقدورة . واما قولك — « فهل يتفضل . . . . . صاحب العصور فيذكر من هم الكتاب المعاصرون الذين يقف منهم الاستاذ سلامه موسى موقف الشربتلى من محمد عبده وجمال الدين الافغانى » — فليس من الاسئلة التى يعسر الجواب عليها . فلماذا لايكون الدكتور طه حسين أو الدكتور فهمى أو الدكتور فريد رفاعى أو يكون الدكتور زكي مبارك نفسه ؟ وكن على يقين أيها الصديق انى ماأبتغى بذلك نفعاً أرجوه أو كسباً لشئ من حطام الدنيا صغر أم كبر ، بل هى طريقتى وأسلوبى لاأنفك عنهما . اما النفع والضر فلا شأن لى بهما بعد ان أرضى نزعتى وأعبر عن رأيى فى صراحة لاتقبل التمويه .

أما « البكالوريوس آداب من أمريكا » فانا ننقل لك فقرات من رده فى الحديث لتعرف انه « بكالوريوس آداب » ومن صميم « أمريكا » ، « وإن من البيان لسحراً وان من « النقد » لحكمة » — قال زادنا الله من أدبه :

«وفى الجملة فكتب سلامه موسى قد امتازت بجمال الاسلوب وبالمزاج الفلسفى وبالنظر التحليلى الثاقب فى التاريخ الانسانى (مرحى مرحى) وتطور تفكير العقل البشرى . وهى مفعمة بالادلة المنطقية القاطعة . واما اسلوبه فهو البديع الغير المعقد (كاسلوب البكالوريوس آداب) المتكفل لكل صفات المجيدين ممن ضربوا بسهم فى تاريخ الانسانية (ثم ماذا ؟) وتطور ذلك المدى الذى حلق

فى فضائه العقل البشرى (وماهو تطور المدى أيها البكلوريوس آداب ؟) وبالاختصار فهو السهل الممتنع (وهل يؤدى ازص الاول هـذا المعنى ؟) — ثم اقرأ :

«ولم يكن لسلامه غرض يرمى اليه بكتابته التى سرت فيها روح العصر ، سريان الدم فى الشرايين (الدم يجرى فى الشرايين ولا يسرى) سوى العودة لرسم صورتنا الحاضرة (كصورة البكلوريوس المنشورة مع مقالته فى الحديث والظاهر انها مقطوعة من «أبونيه» قديم) وهى صورة جزئية من مجموعة الصور التى تتألف منها الانسانية (مايعنى البكلوريوس آداب بهذا ؟) كما رسم صورة أمته كل كاتب خالد» . ثم اقرأ بعد ان تبسمل حذر الشيطان وتحوقل على لغتك العربية وأسلوبها :

«ولم تكن الصورة التى يعطينا اياها «سلامة» شبيهة بالصور التى رسمها الـكتاب المزوقون من مجرد سحب بحتة سرعان ماتشرق عليها الشمس فتنقشع ، وتضمحل ، ولـكنها صورة مصنوعة من مواد الارض التى نعيش عليها (اى صورة من طين او زلق) والتى تعطينا مادة التفكير والحياة (مرحى مرحى) بل هى صرح من التفكير وحصن منيع أو معبد مقدس للعقل المصرى المعـاصر يستطع أن يجد فيه كل طبعى من أعصابنا . ومصور احساساتنا . الفرصة السانحة ليتعبد فى محراب الجمال المقدس (وهكذا تـكون الاساليب الامريكانية وإلا فلا) .

ثم اقرأ وأندب اللغة العربية فى مناحة طويلة .

« ولا نستطيع أن نقول عن سلامه سوى مايقرره روح العصر عنه (ولم اتشرف بعد بمعرفة روح العصر افندى او الاستاذ روح العصر ولعله لايزال فى السماء السابعة) . وهاهى كتبه ومقالاته منشورة أمامنا (على الطاولة) وكأنى

اسمع روح العصر (اسمعنيه معك وفقك الله ومتعك بالبكالوريوس) قول عنه انه قوة سلكت طريقا محفوفاً بالموانع » الخ الخ .

ثم اقرأ كيف يكون القصد وعدم الأسراف فى نقد البكالوريوس اذ يقول :

ولو « كنا فى احكامنا منزهين عن التغرض والتحامل لقدرنا سلامه موسي كما يقدر الروسيون « تورجنيف » وكما يقدر الفرنسيون « فلوبير » !!! هذا فى الآداب ياسيدى البكالوريوس . ولماذا نسيت أن يشارك داروين عظمته وسبنسر خلوده ، ذاك فى العلم الطبيعى، وهذا فى الفلسفة ؟ لعلك نسيت . وانى اعتذر عن استدراكي هذا .

و بعد فيحسن بالإستاذ سلامه موسي أن يمنع مثل « البكالوريوس آداب من امريكا » عن أن يدافع عنه هذا الدفاع الذى هو أشبه شيء بالندب في المناحات منه بالكلام العربى الذى يقتضيه موقف كموقفه يدافع فيه عن أسلوبه . وانى آسف بعد هذا إذ اعترف انى لا أزال على رأيي فى أسلوب الاستاذ سلامه . فهو أسلوب عامى . وليس أعرق منه فى العامية نسباً وأدنى اليها لحمة إلا أسلوب « البكالوريوس آداب من أمريكا » .

***

الحب و الجمال

الهلال ـ مصر ـ من مقال بهذا العنوان بتوقيع سلامه موسى : عدد اغسطس سنة ١٩٢٨ يقول الاستاذ مانصه :

« اذا جردنا الكرة الأرضية من الحيوان وتخيلناها كاننا لسنا منها ولا نتصل بها لرأيناها كما نرى الكون كله ايضاً ظلمة صامتة » .

« فنحن نتوهم أن فى العالم ضوءاً أو ضوضاء . نرى الشمس تسطع بنورها ونسمع تغاريد الطيور وصخب الحركة من موج أو ريح فنتوهم أن الضوء والضوضاء

حقيقتان لهما وجود مستقل عنا . ولكن الواقع أن لاوجود لهما في الكون أو على الأرض . وانما كل ماهنالك حركة نراها أحياناً ضوء أو نسمعها احياناً صوتاً .
فالصوت والضوء ليسا حقيقة موضوعية لهما وجود خارج عنا بل حقيقة ذاتية متوقفة على ذواتنا ، اى على العين والأذن . فلو فرض انه كان على الأرض حيوان آخر له حواس غير حواسنا ، وليس له عين أو أذن لما تخيل معنى للضوء أو للصوت » .

وهذا القول لاينطبق على الحقائق العلمية ، ولا الابحاث الفلسفية العميقة التى تصدى لها كثير من الباحثين فى العصور الحديثة .

لقد اختلط على الاستاذ سلامه فى هذا البحث أن يفرق بين الادراك وما يدرك . وكان عليه أن يتساءل هل اذا فقد الادراك كلية امحت كل المدركات باعتبارها حقيقة طبيعية لها وجود موضوعى ؟ والواقع أن الاستاذ سلامه قد اعتمد فى هذا البحث على ابحاث الفلاسفة فى الفرض الضرورى فى الفلسفة . ومعنى الفرض الضرورى عندهم أن الانسان يلزم ضرورة بالاعتقاد بعدة حقائق يستقيم معها علمه الطبيعى ولو لم يكن فى مستطاعه أن يثبت وجودها بطريق علمى . لا جرم أن هذا لا يؤثر على وجودها الموضوعى الحقيقى سواء اثبت الانسان وجوده علمياً أم لم يثبت . وبالضرورة يخرج عن هذا كل الاشياء النظرية التى لايرجع اثباتها الى الحواس وحدها باعتبارها طريق الاثبات العلمى .

فلو أردنا مثلا أن نثبت وجود حيز للمادة خارج عن حيزنا ، لما استطعنا . ذلك لان ادراكها راجع الى احساسات كائنة فينا وليست خارجة عن حيزنا فلو فقدنا البصر امتنع علينا أن نراها ولو فقدنا الشم امتنع علينا أن ندرك رائحتها ولو فقدنا الحواس جميعها امتنع علينا أن ندرك أن لها حيزاً خارجا عن حيزنا . لهذا تحملنا ضرورات العقل والحواس على أن نفرض وجودها فرضاً ضروريا ولولا هذا الفرض لتعذر علينا أن نقوم بأعمالنا وأن نؤدى حاجاتنا . أما اذا أديناها

وانصرفنا عن هذا الفرض في الوقت نفسه كان ذلك دليلا على أن ميزان العقل قد اختل وان الفته قد انحلت . غير أن هذا كله لا يقوم دليلا على أن المادة ليس لها وجود حقيقي أو أنها وهم تصوره لنا الحواس . فان عجزنا عن اثبات وجودها علميا او اثبات أن لها حيزاً خارجا عن حيزنا من طريق العلم ، لا يؤدى الى النتيجة التي يريدها الاستاذ ، وهي اثبات أنها تكون وهما لان وجودها راجع الى حواسنا وحدها . لان الحقيقة أن عجزنا عن اثباتها علمياً راجع الى ذاتيتنا لا الى موضوعيتها باعبارها كائنة . ولا أدرى ما هي العلاقة بين وجود المادة في موضوعيتها وبين فقدانى لذاتيتى ؟

فاذا استطعنا بعد هذا ان نثبت للاستاذ أن الضوء مادة نراها بالبصر وان الصوت تموجات في مادة لها وجود موضوعى استطعنا أن ننقض نظريته التي يذهب اليها وننقض معها كل ما بنى عليها من النتائج .

والحقيقة أن الصوت ان كان عرضاً من الاعراض اللازمة لمادة متحركة ، فان الضوء مادة صرفة . فاذا عجزنا عن ادراكهما بالحواس لتعطل الحواس ذاتها فليس ذلك بدليل على أنهما وهميان لا حقيقة موضوعية لهما . وهذا كما لو قلت تماما إن فقدان الحواس وعدم ادراك المادة بفقدانها دليل على أن وجود المادة ذاتى لا موضوعى .

قال سير جينز سكرتير المجمع الملكي البريطاني :

« ان الحرارة والضوء يحملان ثقلا معيناً . ثقلا حقيقياً نتكلم فيه كما نتكلم في طن من الفحم أو قنطار من الحديد . فاذا قلنا مثلا طنا من الحرارة أو طنا من الضوء ، انطبق كلامنا على الحقائق العلمية ولم نعد الصواب قيد أصبع . وليس معنى هذا أننا نحصل على طن من الحرارة أو طن من الضوء اذا نحن أحرقنا طناً من الفحم ، كلا . فاننا إذا أحرقنا طناً من الفحم فانما نحصل على جزء من مليون جزء من الرطل ضوء أو حرارة . والباقى يكون رمادا أو رجوعا ، أو مواد تختلط

باو كسجين الفضاء . فاذا وقع الضوء على سطح ما فاناره ، فانه يحدث من ذلك السطح « صدمة » Impoct — كما يقولون فى الميكانيكيات — هى نتيجة لثقله . فاذا وجهت الى الانسان كمية من الضوء كافية الثقل ، فانها تصرعه ، كما تصرعه كرة المدفع تماما . وهذه « الصدمة » التى يحدثها الضوء لدى وقوعه على سطح ما ، تمكننا من قياس ثقله ، كما نستطيع تماما أن نقيس ثقل كرة يقذفها مدفع من مقدار « الصدمة » التى يحدثها فى هدف توجه اليه . ولا جرم أننا نضطر فى هذه الحال أن نعرف مقدار سرعة كرة المدفع تماما . أما سرعة انتشار الضوء فمعروفة على وجه الدقة والضبط ، وهى ١٦٨٫٠٠٠ ميل فى الثانية »

إذن فالضوء مادة والصوت عرض ملازم لحركة المادة ، وما دام للمادة وجوداً حقيقياً لا يتوقف على حواسنا وذاتيتنا ، انهارت نظرية الاستاذ سلامة موسى فى الحب والجمال ولو بمقدار ما أقام على نظريته هذه من الاستنتاجات .

أما اذا سايرنا الاستاذ سلامه في نظريته هذه لم يصبح لشىء من وجود حقيقى سوى الحواس . لان كل شىء عنده يتوقف عليها . فى حين أن الحواس ليست الا وسائل زائلة تنقل « موضوعية » الطبيعية الى « ذاتيتنا » .

ان الابحاث الحديثة لم تدر حول فقدان المادة بفقدان الحواس ، بل دارت حول اثبات المادة من طريق العلم و بالوسائط العلمية التى لا طريق لها الا الحواس جرياً على القاعدة التى وضعها سبنسر اذ قال بان « كل ما لا تدركه الحواس لا يمكن أنه يكون صحيحاً » . هذا ليكون الاثبات علمياً . ولكن تقييد الاشياء والحكم على وجودها او عدم وجودها من طريق العلم و بالوسائط العلمية ، امر لا يجيزه العقل لان الحواس ناقصة والطريقة العلمية ناقصه بالتبيعة لها . ومقدار النقص فى الاولى ، لابد من أن ينتقل الى الثانية بالاستتباع . هذا فى حين أن عجزنا عن اثبات وجود شىء من طريق الحواس او بالاحرى بالطرق العلمية ، لا يثبت انه غير موجود . والفارق ظاهر جلى .

اصلاح النوع البشرى

الهلال . مصر . من مقال بهذا العنوان من قلم التحرير ص ١٢١٢ د عد اغسطس سنه ١٩٢٨ فى هذا المقال استدراك بسيط ولكن لايجوز بنا اغفاله فقد جاء فيه :

« كان غالتون بن عم داروين (أى شارلز روبرت داروين المعروف) اول من التفت الى موضوع الترقى البشرى » — والحقيقة أن السير فرنسيس غالتون هو بن عمة داروين لا ابن عمه . فان اباه مستر س . ت . غالتون من ميدستون بمقاطعة وارو كشير وجده لوالدته مستر اراسموس داروين وخال مستر وارنج والدشارلز داروين المعروف (راجع الانسيكلوبيديا بريطانيكا مجلد ١١ ص ٤٢٧ الطبيعه الحادية عشر)

***

حول الدم السامى والدم الآرى

عن مجلة التربية والتعليم ـ بغداد ، بامضاء ابو خلدون الجزء السادس سنه ثانيه ص ٣٧٦

حاول الاستاذ ابو خلدون أن ينقض رأينا الذى ذهبنا اليه فى تحليل شخصية بشار بن برد ، ذلك الرأى الذى ايدنا فيه كثير من الادباء في مصر وفى غير مصر من المشتغلين بحركة الآداب . وفى ظنى أن هذا الرأى سوف يكون له شأن بعد أن تكتمل فى عقليتنا كفاءة القياس التاريخى . على انى اعتقد أن هذه النظرية لايمكن رفضها برمتها ، كما يصح أن تكون صحيحة فى جملتها . فهى لاتزال فى طور التكون والتمحيص . وأنا نشكر لمجلة التربية والتعليم عنايتها بمثل هذه الابحاث .

غير انى على الرغم من كل ماأتيت به من بحث واسانيد لاأزال اعتقد ان بين الدم الآرى والدم السامى فارقاً بعيداً وصدعاً متنائياً يحملنا على أن نفرق بين المنتوجات العقلية التى ينتجها جذعان مختلفان تمام الاختلاف من جذوع الشجرة

البشرية . وقبل أن نمضى فى اثبات رأينا هذا نظهر للقارىء شيئاً من الخطأ الذي وقع فيه الكاتب ليعرف مقدار وقوفه على حقيقة الموضوع .

قال فى صحيفة ٣٧٤ . مايلى

« هذا ، و يجب أن لايعزب عن بالنا ان تاريخ آداب الامم الاوروبية لايخلد من ذكر ادباء وشعراء عظام منحدرين من أنسال اجنبية عن الامة التى نشؤوا بين ظهرانيها مع ذلك لايتقدم مفكرو تلك الامم على ارجاع مزاياهم الى نوع الدم الذي يجرى فى عروقهم ، بل كثيراً مانراهم بالعكس يعتبرون بعض هؤلاء الشعراء من اكمل الممثلين لآداب القوم واحسن المعبرين عن ميول الامة . بالرغم من انحدارهم من سلالات اجنبية » ثم قال

« وذلك لان التدقيقات النفسية والاجتماعية اظهرت بصورة واضحة أن عقلية الانسان ونفسيته من محصولات حياته الاجتماعية ولا من موروثات دمه المادية »

ولاجرم ان هذه هى النتيجة التى اراد أن يخلص بها السيد ابو خلدون من بحثه الطويل . وهى فتيجة تؤيد رأينا بما لا يترك للريب مجالا . لأن عقلية الانسان ونفسيته اذا كانتا من محصولات حياته الاجتماعية ، وذلك لاريب فيه فان حياته الاجتماعية من منتوجات دمه. كذلك لانستطيع أن نقول بان الحالة الاجتماعية تنصب على الفرد فتجعله ماهو ، بل ان الفرد على الضد من ذلك ينشأ في ظل الحياة الاجتماعية المصورة بادىء ذى بدء بغرائز الجماعة التى هو تابع لها . اذن فيكون الأنسان ابن دمه لا ابن الصدف كما يريد أن يقول ناقدنا .

ومن اغرب ماذهب اليه فى هامش اثبته فى ذيل مقاله ، وهو يدل على أنه لم يستطع ان يفرق بين الجذعين السامى والارى ، واراد به أن يؤيد نظريته الأولى قوله :

« ان ساميشو من اشهر رجال الآدب الالمانى كان افرنسياً ، فى حين ان جورج ساند الشهيرة فى الأداب الافرنسية كانت من عائلة سا كسونية ، وأن اميل زولا

الذى يعتبر من اكبر الروائيين في فرنسة ولد من اب ايطالى ، فى حين أن بوقاجيو المشهور بقصصه الايطالية ولد من ام فرنسية . وان بول دوقوق الذى يعتبر من احسن الممثلين للظرف الفرنسى كان هو لاندى الاصل . وان لرمونتوف المشهور بين أدباء روسية ينحدر من اصل اسكوتلاندى، كما أن بوشكين الشهير يتصل بنسل بويرى، وان كابالارو المشهورة فى الادب الاسبانى ولدت من أب المانى ، وفوسكولو المشهورفي ايطالية ولد من ام اغريقية. اما الكساندر روماس الشهير فيحمل فى عروقه دمازنجيا»

ولسنا نعرف ماذا يقصد بهذا . فان كل من ذكرهم يعودون في اصلهم الى جذع واحد هو الجذع الآرى . فكل امم أوربا تعود الى أصل آرى فاذا نبغ ايطالى فى الفرنسوية اوانجليزى فى الالمانية او فكر على اسلوب خاص بامة من الامم الاوروبية فليس ذلك بغريب ، وما هو بمؤيد مايذهب اليه ، بل يؤيد ما نذهب اليه لان الجميع يرجعون في اصلهم الى الجذع الآرى

ولو فرض وان مصريا نبغ فى الادب الانجليزى اوانجليزيا نبغ فى الادب العربى فهل هذا دليل على أن المصرى أصبح انجليزيا بالدم ، وان الانجليزى قد أصبح عربياً بالارومة . كلا . فان هذا القول اذا قيل كان أبعد ما يكون عن محجة الصواب .

ونرجع بعد ذلك الى الاستشهاد بمكس مولار الذى أخطأ الكاتب فى الاستشهاد به ، وننقل عنه ما يدل على اعتقاده بان اللغات الآرية والسامية تختلف فى حيث الاصل ، ولا جرم أن هذا يدل على اختلاف الجذعين الذين نشأت عنهما هذه اللغات قال :

***

فى كتابه « محاضرات فى تاريخ علم اللغة » الجزء الاول : ص ٣٥ (الطبعة الثامنة)

« اذا انعمنا النظر فى اللغات التى يتكلم بها فى جهات العالم المختلفة وكافة اللهجات المتفرعة عنها ولو لاحظنا التغييرات التى طرأت على كل من هذه الالسن خلال الدهور كيف تحولت اللغة اللاتينية الى الايطالية والاسبانية والبرتغالية ولغة بروفنسال والفرنسية والولاخية والرومانش (لهجة من الرومانية) وكيف ان اللاتينية بعد ذلك هى واليونانية والكلتية واللغات التيوتونية والسلافية يضاف اليها كذلك لهجات الهند وفارس القديمة ـ كل هذه تشير الى لغة أصلية ـ أم هذه اللغات جميعاً ـ أم الفصيلة اللغوية الاندويروبية أو الآرية وكيف أن العبرية والعربية والسريانية ولهجات صغرى مختلفة ماهى إلا مظاهر مختلفة وأوجه متعددة لاصل واحد ونوع واحد وهى اللغة الاصلية للجنس السامى» الخ

وجاء فى كتاب الاستاذ جسبرس (أحدث المؤلفات فى هذا الموضوع المعنون «اللغة — طبيعتها وانتشارها وأصلها» (طبع سنة ١٩٢٢) بعد ان تكلم المؤلف عن أبحاث بوب وجريم « ان الاول بعد محاولات عديدة في تقسيم فصائل اللغات فضل الاسم الشامل « الاندوأوروبى » وقد انتشر هذا الاصطلاح فى فرنسا وانجلترا و بلاد الاسكندناف أكثر منه فى المانيا وعقبه فى هذه الابحاث همبولدت الذى اصطلح على لفظ « اندوجرمانى » وقد انتشر استعماله فى المانيا ثم استعمل لفظ اندوكلتك (هكذا يقول جسبرس) بيد ان كل هذه المدلولات المركبة سقيمة وملتوية وتفتقر الى القصد والسداد ولا تصيب الغرض تماما و يظهر لى أنه اجدى وانفع ان نستعمل اللفظ المختصر المفيد « اللغات الآرية » ولفظ الآرية أقدم الالفاظ التى كان يعبر بها عن أى فرع من فروع هذه الفصيلة اللغوية في الهند وفارس » .

وجاء في نفس الكتاب ص ٧٤

« يشير شكسبير الى تشككه في احتمال اتقان أى انسان لغة أخرى لدرجة الكمال ولا يسلم بذلك الا في حالة استبدال أى انسان لغته الاصلية بلغة أخرى

فى مستهل شبابه ولكن بذلك يصبح مخلوقا يختلف عما كان عليه. فعقله وأعضاء الكلام عنده تنمو فى اتجاه آخر ولوقيل لنا ان زيد من الناس يتكلم ويكتب بالانجليزية والالمانية والفرنسية على حد اتقان واحد فهذا مما يشك فيه شليشر بادىء ذى بدء وبعد ذلك اذا سلم بان هذا الفرد المانيا وانجلبزيا وفرنسيا مجتمعين فى شخص واحد فهو يذكرنا بان هذه اللغات الثلاثة تمت الى فصيلة واحدة ويمكننا أن نقول بأنها أنواع مختلفة للغة واحدة. بيد انه ينكر على أى انسان احتمال اتقانه للالمانية والصينية فى آن واحد أو العربية ولغة الهوتنتوت. اذ ان هذه اللغات متغايرة تماما فى دخيلة معدنها » قال الاستاذ أبو خلدون

« وقد عبر ماكس مولر المشتهر بتدقيقاته اللسانية الواسعة ، عن حكم العلم فى هذه المسألة بتمثيل حاسم وجذاب ، حيث قال : ان العالم الاتنولوجى الذى يبحث فى علم آرى ودم آرى وعيون آرية وشعر آرى يرتكب هرطقة لاتقل سخافتها عن سخافة العالم اللغوى الذى يجرأ على البحث عن « قاموس مستطيل الرأى أو نحو قصير الرأس »

وهذا القول على صحته لايؤيد الاستاذ فيماذهب اليه : ذلك لأنك لاتستطيع أن تفرق بين الدم الآرى والدم السامى تحت الميكروسكوب مثلا . ولا يمكنك أن تعرف ماهو الفرق بين العيون والشعر الآرى وغيره . وان كان العلماء قد بدأوا يفرقون بين الشعر في السلالات المختلفة ، ولكن هذا لايمنع مطلقاً أن نقول إن هنالك مدنية غربية نشأت من أمم أصلها من جذع آرى ومدنية شرقية نشاءت من امم اصلها من جذع سامى — والفروق بين المدنيتين واضحة .

والمحصل أن الجذع الذى يفوز بتصوير أديان التوحيد لايمكن ان يتفق والجذع الذى يصور كل أديان التكثير والتثليث فى العالم من حيث الدم والوراثة . فان الدين اليهودى فى قالبه المسيحى دين توحيد ؛ ولم يكد يستقر فى اوربا حتى ثلث . وفى ذلك دليل واضح على نزعة الدم .

على أن الاستشهاد بقاموس « مستطيل الرأس » ونحو « قصير الرأس » لاستشهاد يدل على أن هنالك سلالات تختلف بالوراثة فيها هذه الصفات وعلى ان انكار الوراثة بالدم انكار لكل ماتقوم عليه مباحث الوراثة الحديثة في العلم النشوئى . ولا نذهب لا كثر من هذا ففيه الكفاية

***

الاحمق الخالد

مجلة السيدات والرجال ص (٥١١ — ٥١٧) جزء ثامن السنة التاسعة .

أتدرى من هو الاحمق الخالد عند مجلة السيدات والرجال؟هو غليليو غليلى العظيم .ولست أدرى ماالذى حمل كاتب هذا المقال على اختيار هذا العنوان الغريب

جاء في ذلك المقال ما يلى ص ٥١٤ :

« والمجرة التى تراءت نطفة في الغيوم بدت له جماعات من النجوم يمكن عدها والتمييز بين مفرداتها ، وحول زحل (جوبتير) رأى اربعة اقمار » .

وجاء في ص ٥١٥ مايلى

ولكن غاليليو .....، « اكتشف اموراً جديدة خطيرة الشأن ومن جملتها كلف سوداء فى الشمس،وظواهر سطح الزهرة وحلقات المشترى او هالاته ،»

وفى هذا الكلام من الخلط البين مالا يحسن السكوت عليه . فلو ان غليليو نظر الى زحل اذن لرأى حلقاته ورأى من حوله ثمانية اقمار ، لاأربعة ولونظر الى المشترى اذا لرآه قرصاً كالشمس له مناطقه المعروفة ومن حوله أربعة أقمار . فان المشترى هوجوبتير Jupiterوزحل هوساترن — saturn .

ولا ندرى بعد هذا الخلط أيهما الاحمق ، اغليليوا ام كاتب هذا المقال ،

السفور والحجاب

(بمناسبة الكتابين المقرظين في هذا العدد)

ان أول سؤال أرغب القاءه على المفكرين هو هل يصح اطلاق « التعفف » على عدم المقدرة على الوصول الى مايرغبه الانسان ؟ وهل تعد المرأة المراقبة زاهدة في المعصية ؟ بل هل يصح لنا أن نفتخر بان المرأة شريفة وعرضها مصان وقد تكون تحلم ليلها ونهارها بالفرصة التى قد تتاح لتقوم بنصيب كبير من الدنايا ؟

أنا لايهمني المقارنة بين من عاشوا قبل خمسة عشر قرنا و بين الذين يعيشون الآن لان الظروف والاستعداد والوسط وحتى الاخلاق تختلف اختلافا بينا في العصرين ، اذ كانت المرأة قبلا على الفطرة وكان الرجل حيوانا حقيراً نجساً . فاذا ماأردنا مقارنتها وهي في ذلك العصر ، فيجب ان نفعل ذلك مع ماشية أو راحلة العربي الهمجي وليس مع نصف الانسان المتحضر الذى نظم حتى شفقته بالحيوان الاعجم . وكيف نقارن الماضي بالحاضر وأبسط مبادىء الاخلاق الحالية تستنكر انهماك رجل في قتل الغير من أجل سبي نسائه . وهل تهضم الانسانية التى نفهمها الآن سلوك رجل لاشغل له الا الجريمة أو الانغماس الى أذنيه في الشهوة الحيوانية مع قطيع من الاناث حرمهن من أزواجهن وآبائهن وفلذات أكبادهن فقتلهم أو شردهم تلبية لرغبة بهيمية ؟ وهلا يهدينا عقلنا الى ان المرأة الراقية هي غير المرأة المتوحشة فالأولى لها عواطف ولها ميول أرقى بكثير من غريزة الثانية ؟ ان محاولة المرأة ، في الوقت الحاضر ، الوقوف جنبا الى جنب مع الرجل يجعلها تعامله بالمثل . فاذا تطلع اليها كأنها اداة للشهوة ، لن ترى منه الا ماراًته فيها والبادىء أظلم . ان جرائم القتل التى كان يقترفها الرجل ضد غيره من الرجال لاجل سبي نسائهم ونهب أموالهم قد تهذبت ، وقلت كثيرا عن ذى قبل . فاصبح الآن عدد الرجال

والنساء متقاربان لبعضهما والیس معنى حيازة الرجل لا كثر من امرأة واحدة حرماناً لغيره من الزواج ؟ ومن ذا الذى يتهافت على اللذة إلا أصحاب الثروة والنقود ؟ وهل أغلبية هؤلاء الا شيوخ هد الكبر قواهم فأصبحوا غير صالحين لانتاج نسل قوى ؟ اننا بتركنا حبل هؤلاء الحيوانات ليفعلوا ماتسمح به ثروتهم وجاههم نعمل على حرمان بعض الصالحين من الشبان من القيام بما تمليه عليهم الطبيعة البشرية . وبالطبع سيسعى كلهم جهده لنوال بغيته وهذه أول خطوة للفساد . كذلك المرأة التى وجدت ذاتها بالرغم منها فى حوزة رجل عديم الاسنان قد أحنت السنون ظهره وأضعفت قوته الحيوية فما يكون منها اذا شاهدت ولوعرضا شابا يمثل الخيال المتسلط على فكرها ؟ فهل هناك شك فى ان الطبيعة تجذبها الى الاصلح ؟ فعلى من تقع اذن مسئولية خرق حرمة القوانين الاخلاقية ؟ على الطبيعة البشرية أم على العواطف أم على الذين يتغاضون عمداً عما هو طبيعى ؟ ان النظريات الاخلاقية تصبح مهزلة اذا تعارضت والقوانين الطبيعية النافذة وانكم بارهاق المرأة تحطمون شخصيتها وتجبرونها على الامتناع قسراً عن انتهاك سخافاتكم الاخلاقية . ومن الغريب انكم تصفقون طربا عندئذ مدعين بان المرأة عفيفة شريفة طاهرة الذيل متناسين انها مكرهة على ان تتصف بالسجايا التى تحبذونها . فما أذكاكم !

اذا كنتم تخفونها خوف الفتنة فانتم مخطؤون . ان الخصى المفتول الساعدين الطافح من وجهه دم الشباب يحيي فى المرأة الشابة المملوءة حيوية الأمل لتلقى نفسها بين ذراعيه لانهما أمتن من ذراعى زوجها المرتعشتان ، بل ان القاء نظرة ولوعرضا من نافذتها على عابر سبيل تحيي فى نفسها الرجاء وتدفعها الى نوال بغيتها الطبيعية . وليس هذا فقط بل دم الشباب الذى يجرى فى عروق أخيها بل أختها أو صديقتها يجعل كلهم لها بديلا من الرجل مع الحاجة الطبيعية فهل نستبعد بعد ذلك وقوع مالا يستحب بين المرأة وبين الاخ و بينها و بين الاخت او الصديقة كي تطفىء هيجان الطبيعة بالاقل بل لماذا نستهجن منها ان ترى حتى فى حيوان

متناسق الاعضاء خير بديل من هيكل زوجها الخرب المنهدم ؟

ان اقتصار علاقة الرجل بالمرأة على الصلة الجنسيه يظهر كلا منهما للاخر لا أكثر من اداة للذة واذا ماثبتت فكرة اللذة وتحكمت على عقليهما كانت شغلا شاغلا لهما يحرض كل منهما على التنقيب عن الوسائل التى تسبب لكل منهما لذة اكثر . فالواجب اذن ان تكون الصلة الجنسية بين الزوجين اقل الروابط التى تجمعهما معا وان تكون اهم رابطة لهما هي التفاهم الواجب التمهيد له برفع مستوى المرأة العقلى حتى تصبح للرجل صديقة تشاركه في ارائه وتسديه نصيحة يمة كلما كان فى حاجة اليها . وان يحل الصفاء بينهما الا اذا تبادلا الاحترام الصادق واول دلائل هذا الاحترام هو عدم احتقار الرجل للمرأة وذلك بعدم اشراك غيرها في قلبه وفى آرائه وفى حظه بل يجب عليه ان يقف بجانبها كي تقف هي بدورها بجانبه الى ان يسقط احدهما صريعا

و رفع مستوى المرأة العقلى يفيد ايضا فى تربية البنين . فان المرأة اقدر من الرجل على القيام بهذه العملية . و رفع مستواها العقلى ضرورى ايضا للقيام بالتدبير المنزلى — وحذار ايها السادة العلماء ان تظنوا بان معنى هذا الاصطلاح هو الكنس والمسح فقط — فله معنى اجل هو ادارة مملكة المنزل الداخليه ومراقبة الصحة والتعليم والمصروفات فهى المرأة التى يتقاضى اليها الاطفال والخدم وهى المسئولة عن جعل المنزل فردوسا يجذب الرجل والاطفال وايضا الخدم اليه

و رفع مستوى المرأة العقلى ضرورى ايضا لانه قد يحدث ان لا تجد المرأة مشاركا لحياتها — وربما بارادتها هى — او ربما تفقد شريك حياتها فو الحالة هذه يجب عليها أن تكون مستعدة لمكافحة الزمن من اجل عيشها ومن اجل عيش ابنائها اليتامى اذا وجدوا

الاختلاط ضرورى للجنسين فاذا تشبثتم بفكرة الفتنة و بفكرة ضعف المرأة فهلا حاولتم حجب وجه الرجل دونها لانها اكثر منه تعرضا للفتنه ! بل هلا

حاولتم بالاقل الحجر على من هو جميل من الرجال لان الجمال هو الداعي الاكبر للافتتان وليس مجرد الانوثة؟ اريد ان اسر اليكم يا انصار الحجاب الاتنياء بما هو معلوم تماما لديكم وهو « اينما وجد التحجب أنتشر اللواط » والداعي الى انتشار هذه السفالة وجود شيء اسمه « الميل الى الجمال » يدفع الانسان الى كل ماهو جذاب . فاذا ما كان هذا الجميل زهرة اومنظرا اقتصر الامر على تهييج العواطف حتى الاستكفاء. واما اذا كان انسانا فان السعي للتقرب اليه يكون اولهم الاخر . فاما المرأة فان ملامستها اصعب من ملامسة الرجل لان بها حياء غريزي واما الرجل فملامسته هينة وكذلك الاختلاء به ثم اغرائه . واما المرأة فلرغبتها في انتخاب الاكفأ ولرغبتها الغريزيه في التلاعب بعواطف الرجل كي تزيد قيمتها في عينيه تصبح ملامستها اصعب واغراؤها يحتاج الى وقت ، هذا على فرض انها لاتحافظ على بكارتها أو على شرفها بل اقاويل الناس تفزعها فوجودها مع الرجل ادعى للشبهه من وجود رجلين مع بعضهما . ان الوقت الذي ينفقه الرجل في التقرب من المرأة يجبره على التخلق ولو مؤقتا باحسن الاخلاق حتى ينال ثقتها وكذلك المرأة فانها بالاقل تتظاهر بانها احسن مثال للاخلاق لتنال حظوة في عيني الرجل إذ يكون املها دائما متجها نحو الزواج . وعلى فرض ان تخلقها بحسن الخلال يكون مؤقتا فانها ستربي ابنتها ولو على (التظاهر) باحاسن الاخلاق لاجل صالحها وهذه ستدرب بدورها ابنتها وهكذا تصبح الاخلاق بعد عدة اجيال عادة من السهل اتباعها اذا وجدت بيئة ومعاملة حسنتين

ان في الحجر على المرأة اكبر دافع لها للبحث عن طريق الحرية . ومن الاسف ان من لوازم الحجر الجهل وعدم الخبرة الامران اللذان يساعدان على وقوع المرأة في شباك المغررين . فلو سمعت المرأة كلمة من رجل غريب عنها مالت الى تصديقها خصوصا اذا كانت محرومه من سماع امثالها من رجلها . وهي في هذا تخالف تماما المرأة السافرة التي تنشأ تحت مراقبة امها في وسط مختلط . واذ احتجبت المرأة

الا يكون احتجابها مخف لشخصيتها فتقترف الآثام دون أن تعرف، بعكس المرأة السافرة التي ينم عليها وجهها وما أدرى الزوج اذا كانت زائرات زوجته المتحجبات هن نساء أو رجال متخفين؟ يجب أن يسلم الحجابيون الميالون لمراقبة المرأة أن وجودهم معها في الاجتماعات دائماً يسهل عليهم مهمة القيام بوظيفة الجاسوسية على ضحيتهم ؟

يعود فساد اخلاق المرأة الى سوء سلوك الرجل معها فانه اذا اغلظ لها القول مالت أولا بحسن نية الى أي رجل يحسن معها القول . ثم ينقلب هذا الميل الى ثقة فاستحسان فغرام . كذلك الرجل الكثير السهر يسبب لامرأته الملل من الوحدة فيدفعها بذلك الى الجري وراء السرور البريء اولا ، ثم تمادى بعد ذلك خصوصاً وانها تجد مؤانساً لها يحتل رويداً رويداً مركز الزوج الخالي من قلبها. واما إذا كان الرجل يعاشر نساء اخر غير المرأة فانه بطبيعة الحال لن يكفي حاجتها فيدفعها من جهة كما تدفعها الضغينة من جهة أخرى إلى البحث عن طريق لارواء غليلها ولو بالاقل لمقابلته بالمثل . هذه احدى نتائج تعدد الزوجات السيئة . أضف اليها الحسد بين الضرائر وسعيهن بالوقيعة بين رجلهن وضراتهن من جهة و بين أولادهن وأولاد ضراتهن من جهة أخرى . فبين الضرائر تكثر النميمة وشعاوز السحر وحتى أولاد الضرائر يكونون عرضة لتهجم الضرة على مستقبلهم وذلك بتنفيرها لوالدهم منهم وهم ابرياء . وهي انما تفعل هذا كي يتنعم أولادها دون غيرهم في عز والدهم والسيدة المسلمة تندفع الى التبذير وحتى الى السرقة كي لاتعطى زوجها فرصة للزواج من غيرها وأيضاً لكي تكون في سعة من العيش بفضل ما اخفته من مال الزوج اذا ماتاتها خبر طلاقها من الفروة خلاف وقع بين زوجها وآخر على ماذا كانت اللعبة (بنج يك أو دو رجي) وأنا أعرف سيدات يبعن خزين المنزل والاقمشة ليكنزن ثمنها لوقت الحاجة هذا بخلاف ما يسرقنه من ثياب الزوج وما يزدنه على المصاريف المنزلية اليومية فبالله

مالذى تنتظرون من المرأة التى تعيش مع رجل كارهة او غير آمنة على مستقبلها أن تفعل غير كل ماهو سافل ومنحط ؟ أنا لا اقول أمنعوا الطلاق . لا ، بالعكس انا أطالب به ولكنى اريد فقط أن تفهموا الرجل أن المرأة هى شىء اكثر من (ميوله) عساه يعاملها معاملة حسنة فتثق به وتعمل كل مايحببه فيها أما اذا حدث داع للفراق فهو خير ملجأ . ان من أضرار تعدد الزوجات ان تتهالك كل واحدة منهن فى استبزاز اقصى مايملك الرجل من القوة الحيوية في حالة وجوده معها حتى تكيد لضراتها وبالطبع تفعل الثانية مافعلته الاولى وهكذا الثالثة والرابعة وغيرهن من الخطايا والسبايا الخ و ينوء الرجل تحت حمل هذه السخرة فينهد كيانه ويسرع الى القبر . اليس لاجل أن تنال المرأة حظوة كهذه فى عينى الرجل تتعمد الدلال وغيره مما تهيج معه غريزة هذا الحيوان الجنسية ؟ فاذا كانت هذه هى حالته كل يوم فكيف تنتظر منه اكبابا على اعماله فى النهار ؟ واما المرأة فمدتها معه تقضيها كلها فى المرآة واما فاذا غاب عنها فالغيرة من ضرائرها تفتك باحشائها فلا يعمل فكرها حينئذ الا فى نصب الاشراك والعمل بالنكاية للضرائر دون حساب

كذلك تجد من نتائج الحجاب عقد الزواج الشاذ . فبالله ماذا يكون رأى الرجل والمرأة اللذان يتقابلان لاول مرة لا للتعارف بل لقضاء شهوة بهيمية ليستعد كل منهما لتذوقها قبل الاجتماع بعدة أسابيع ؟ فاذا ما ارتوت الشهوة بدأ كل منهما يفحص رفيقه كما يفعل المتبارزان قبل الاصطدام . فيجريان المناورات لمعرفة ماذا كان مناظره (عبيطاً) او (لئيما) ومن الغريب ان كلا منهما يتظاهر بالعناء وعينه تراقب الآخر مراقبة النسر لفريسته . فتزداد الظنون ويدور الدس وتلعب المراوغة دورها فينفجر كل منهما على الآخر . ولا غرابة فهذه هي آخرة اللقاء الشهوانى . وهل ينتظر من الرجل ان يحترم امرأة كانت ضحية شهوته فى أول دقيقة رآها فيها وبالله كيف يأمن اليها بل كيف تكون عقليتها بعد أن

يثوب اليها ارشادها فتجد امامها الرجل لا أكثر من آلة تسبب الشهوة ؟ فاذا ما انتهت حدتها لا تجد صلة تجمعها بتلك الآلة حتى تغلبها الشهوة مرة أخرى

هنا يجب أن نتحول الى التهتك لنفرق بينه و بين السفور . فالتهتك ناتج عن حاجة المرأة الى الرجل. فاما الحاجة الشهوانية ، فليس من المسلم عقلا ان المرأة تجرى وراء الرجل من أجل الشهوة كل دقيقة من حياتها ، بل قد تفعل ذلك كل بضعة ايام مرة واحدة. هذا على الاكثر. المرأة تجرى اكثر وقتها خلف الرجل كى تغريه بذاتها ليمتلكها او يعنى آخر ليطعمها و يكسيها. فهى بفضل جهلها لا تعرف لها صناعة الا التمسح بالرجل كى تأكل من فضلاته . وهو بدوره لا يريدها إلا لاشباع شهوته لا أكثر لان خدمته يمكن أن يقوم بها خادم أو يقوم بها بنفسه فالمرأة تعرض ذاتها فى السوق سلعة — أجل ياسادتى الجامدين لا أكثر من سلعة — لتجتذب نظر الرجل فاذا كان الرجل عالى العواطف ما كانت المرأة تسعى اليه عن طريق الخلاعة بل كانت تثقف ذاتها كما يفعل النساء الاوروبيات المستقلات اقتصاديا اللاتى اذا اتصلن بالرجل بأى صلة كانت سواء بالزواج الدينى أو بالزواج المدنى أو بالمرافقة وكلها فى نظرهم صلة روحية — فانما يكون ذلك عن طريق العواطف وعن طريق التفاهم المتبادل . وأما نحن فتقتنصنا النساء بالتبذل وذلك لاننا نجهل كل خصال المرأة الاهم الا أنها أداة للذة البهيمية الامر الذى نتج عن الحجاب وعن نشوئنا فى وسط لا يسمع فيه الواحد منا ذكر المرأة الا مصحوباً بكل ماهو منحط وسافل .

وانى لأكون قد حقرت نفسى لو بسطت مااختبرته شخصياً في حياتى . فقد وقع لى حادث مع سيدة وكان أكبر درس تلقيته الى اليوم . حدث أنى دعيت مرة الى بيت أحد أساتذتى وكانت الاولى من نوعها . فدخلت القاعة المعدة لاستقبالى أنا وغيرى من الطلبة أجر رجلى جراً . كيف لا وأنا على وشك مقابلة سيدات غريبات عنى لاول مرة في حياتى . وكنت فى التاسعة عشرة من

عمرى ولا أذكر الآن كيف حييت رب الدار وربته ولا ما إذا كنت قد حييت ابنتهما أيضاً وهذا لا دخل له فى القصة التى تبدأ عندما انتحيت كرسياً فى زاوية مظلمة من القاعة وقد تصبب منى العرق فكنت أمسحه وأنا مضطرب الحواس وكان يزيد اضطرابى كلما مرت من أمامى سيدة حسب عادتهن اتبادلنى بضع كلمات وهى تبتسم . اعتقدت أولا أنهن يضحكن على ولكن عزة نفسى أقنعتنى بعد قليل بأنهن قد افتتن بى . ويظهر أن آنسة الدار وجدتنى وحدى فجلست بقربى وأخذت تحدثنى ولست أعرف تماماً السبب الذى دعاها لاطالة الحديث معى هل هو رغبتها فى مسايرتى وتشجيعى على أن آلف هذه المعيشة المختلطه ، ام لانها رادت أن تكلمنى كلمتين كما هى العادة ثم تتركنى لغيرى فلاحظت احمرار اذنى واصفرار وجهى وارتعاش يدى فعزمت وهى اصغر منى سنا بثلاث سنين أن تضحك منى وتحرجنى .

فلما تكلمنا اخذت نفسى ترتد الى رويداً رويداً الى ان سقنا الحديث الى ذكر مصر ومنزلنا والدى وثروته وعمله فاخذت افكارى تتجه بسرعة نحو مرمى بعيد . ولسوء الحظ انها سألتنى هل اذا زارت مصر اقدمها لوالدى وهل نزهها فى كل جهة؟ فاول ماتبادر الى ذهنى انها قد (وقعت) وهامت بى صبابة كيف لا وها هى تلمح وأنها . . . وأنها . . . فما كان منى إلا ان وضعت كفى على ساقها لاظهر مشاركتى لها في الغرام . فبهت واقفه يكاد الشرر يتطاير من عينيها ثم أخذت الى رأسها وذهبت . ورغما عن أنها قابلتنى مراراً كثيرة خلال ثمانى سنوات ، كانت تأنف دائما من التسليم على فكانت تتجاهلنى تماما

هذه كانت عقليتى . فالذنب ذنب هذه العقلية التى ترجمت الفاظ الابنة الطاهرة الى اللغة العربية فتفهمها عقلى المحجب كما تعودت فى وسطى الذى لا يفرق بين المرأة واللذة حتى يشاء الله أن ننبذ الحجاب

عمر عنايت

الالحاد

أمعرفة هو ام اعتقاد ؟

رداً على ملاحظات ط . ه . حنين افندى اقول .

المعرفة والمعتقد امران مختلفان في التكوين والمصدر كل الاختلاف ولما كان لكل منها فروع تختلف فى الاسم والمظهر فان المبتدىء بالبحث عن وحدة هذه الفروع يرى صعوبة ما في تعيين الاصل ومن ثم فى الجهة التى تتجه اليها فلهذا أعرف اولا المعرفة والمعتقد كاصلين نبت عليهما فروع شتى هى هذه العوامل المسيطرة على كيان الجماعات والافراد والدافعة الى ناحية معينة من القول والعمل

قال الدكتور غوستاف لوبون في كتابه — الآراء والمعتقدات — الصفحة الاولى « يخلطون المعتقد احياناً بالمعرفة على ما بينهما من اختلاف كبير فالعلم والاعتقاد أمران مختلفان فى تكوينهما ومصدرهما وبالرأى والمعتقد يتم سيرنا وعنهما تنشأ أكثر حوادث التاريخ » وهذا القول يكفى لتبيين نسبة الاختلاف بين المعرفة والمعتقد. على أن هذا الاختلاف يشمل ايضاً ماتفرع منهما

المعتقد وليد العاطفة الهوجاء والمعرفة وليدة الفكر الباحث المدقق فاذا اردنا أن نجعل الناس ذوي معرفة يجب أن نوجد عندهم الفكر ومن ثم الوقت الكافي للبحث والتدقيق ولكن لو شئنا أن نصيرهم ذوى اعتقاد لما اقتضى علينا سوى التأثير على عاطفتهم بالتلقين والتكرار . فالاختلاف بين أصل المعرفة واصل المعتقد كبير ويكفى أن تلك وليدة الفكر العصرى وهذا يرجع الى العاطفة تلك التى قادت الانسان ملايين من السنين في ظلمة الطبيعة ووحشتها.

فالالحاد من فصيلة المعتقد دو ام من فصيلة المعرفة . لو قلت إنه يرجع الى المعرفة لكذبتنى وقائع الحال لأنه ـ رأى ـ والآراء تنضم تحت لواء

العاطفة تلك المعروفة فى هدفها ومرماها وكيف تجعل منه معرفة !! ـ أنخلق له مركزاً بين فروع العلوم العديدة وندرسه كما ندرس العلوم الطبيعية والرياضية ؟؟ ـ يقول حنين افندى ان الالحاد صفة انتقاد لما نراه فى هذه التارات الخمس من الاديان الخرافية السخيفة . نعم وأنا لا أخالفه فى ان للالحاد صفة انتقاد للاديان الشائعة ولكن هل هذا كل شيء ؟؟ ـ انت ملحد ـ ولا تعتقد بصوابية هذه الاديان ـ حسن ـ ولكنك تعتقد ان هذه الاديان ليست صحيحة واعتقادك هذا له نفس السنن والنواميس التى لهذه الاديان ـ والا فكيف تفسر انتقادك هذه الاديان المبنى على رأيك الذى تدعيه صوابا ؟؟

يذكر حنين افندى قصة تيس (ولا أعرف لماذا اختار هذا التشبيه الغليظ) ويقول انه لو صدقت الناس ان تيساً صار على قرنيه وكذب انسان ذو عقل صحيح هذا الامر أفمن الحق ان نمنع هذا الانسان عن ابداء رأيه بصحة ما يعتقد ؟؟ ـ

انا ما قلت ولا اقول ولن أقول بمنع الانسان عن الجهر بالحقيقة خصوصاً فيما يتعلق بالاديان وميثولوجيتها ولكن قلت وأقول وسأقول ان الالحاد رأى ومعتقد وهو من فصيلة تلك الاعتقادات المبنية على العاطفة الفطرية وان الناس لو الحدوا لما تغير مظهرهم الاجتماعى ولا مقامهم فى الطبيعة وهاهي الاديان السائدة لم تبدل وضعية العالم عند ما تم لها الفوز على ما سبقها مع اعتبارنا ضرورات الرقى التدرجى لان الانسان ما زال كما كان يسير مدفوعا بعاطفته لا بعقله .

ثم والمسألة ليست مسئلة تيس وسيره على قرنيه بل اعمق وأعمق واعمق حتى أن اعاظم رجال العلم والفلسفة وقفوا أمامها وقفة المتردد والمشكك مثل باسكال وكانت وشوبنهور ومالبرانش وكروكس وبومبانازى وولس وغيرهم فان مباحثهم فى صحة الاديان وكذبها لم تزل مثالا بارزا على عمق الموضوع وبعده عن مستوى العقل البشري الاعتيادي المتطلب الايمان بوجود مبدع مستقل لهذه الكائنات العجيبة فلو قلنا واخذت الناس قولنا

حجة لا ترد بان الالحاد أحسن الآراء الاجتماعية . فاذا كنا نرى ؟؟ . كذ. نرى ان المستوى البشري ما زال عند حده ينمو رويدا رويداوان الالحاد حل محل الاديان البائدة وأخذ ما كان لها من العوامل والمسببات ولم يختلف عنها الا بالاسم فقط . ومن اطلع على مباحث الدكتور غوستاف لوبون فى هذا الباب يتأكد صحة قولى هذا.

لا أقصد بهذا رد الملحدين عن التبشير بالحادهم كما يبشر المسيحيون والمسلمون والبوذيون بأديانهم بل اظهار حقيقة الالحاد الذى لن يبطل الحروب ولن يكفى الانسان مؤونة التساؤل عمن اوجد هذه الطبيعة .وليثق حنين أفندى ان من التعاسة الداعة الاطلاع على خفايا هذاالكون لان الوهم الذي يقود الانسان فى ايمانه بالله وكفره به او الحاده مخدر يمنعه من امعان الفكرة فى مظالم الحياة وشرورها كما وليتأكد ان تبشيره برأيه لن يرقى فكر الانسان اذا بقيت الموانع الاجتماعية متحكمة فى منحى الافراد ومصيرهم لان الامر يرجع الى طبيعة النظم السائدة ليس الا . فأنا أعرف منشأ الكون وتفرعه والمعرفة لا تولد الرأى او المعتقد ولهذا فان - الحادي - او - اعتقادي - قد اضمحل برسوب عاطفتى النظرية وظهور فكرى الى ساحة القول والعمل

بيروت ١٣ أغسطس سنة ١٩٢٨ ابراهيم حداد